

ترجمة العلامة الشيخ

محمد علي الصابوني

من ثبت «التحرير اليسير» لمحمَّد أيوب العلي

٢٠١٩م / ١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الدِّين واضحاً ميسراً، تبياناً للناس لنجاتهم في الآخرة، وجعل النبوة والأنبياء ركناً من الدِّين، والسنة النبوية وحياً نزل به جبريل الأمين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمَّد صفوة رسله، صاحب إيجاز البيان وروائعه، مَنْ كان هديه النبوي صحيحاً، وكنوز سنته لملتقطيها مليحة، وعلى آله أنصار موقف الشريعة الغراء، المكرَّمين المنعوتين بالمحجة البيضاء، وعلى أصحابه الكرام نقلة المواريث في الشريعة ودرر التفسير، والفقه الإسلامي لأمته بالتيسير، والحديث الشريف بدرره ولآليه، فتحاً من الله المنعم، ورياضاً للصالحين وكل مسلم، كاشفين بذلك الإفتراءات، ومبطلين بها الشبهات.. والتابعين لهم بتبصير إلى يوم الدِّين[١].

أما بعد: فلمَّا شرَّف الله كتابه المبين وشَرُف به كل من انتسب إليه بصدق توجه، ولما أعزَّ حديث حبيبه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نضَّر كل من سمعه وأداه كما سمعه، وخاصة العلماء العاملون؛ الذين عكفوا عليهما دراسة وتدريساً وشرحاً وتبسيطاً.

---

[١]() هذه المقدمة بهذا الشكل تسمى: براعة استهلال أو حسن الابتداء أو حسن المطلع، وفيها تضمين نحو عشرين اسماً من أسماء مؤلفات شيخنا المُتَرجَم، وهي على النحو التالي: ١- تفسير الواضح الميسر، ٢- البيان في علوم القرآن، ٣- النبوة والأنبياء، ٤- السنة النبوية قسم من الوحي، ٥- صفوة التفاسير، ٦- إيجاز البيان، ٧- روائع البيان، ٨- الهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح، ٩- من كنوز السُّنة، ١٠- موقف الشريعة الغراء من نكاح المتعة، ١١- المواريث في الشريعة الإسلامية، ١٢- درة التفسير، ١٣- موسوعة الفقه الميسر، ١٤- الدرر واللآلي في شرح صحيح البخاري، ١٥- فتح المُنْعم في شرح صحيح مسلم، ١٦- شرح رياض الصالحين، ١٧- كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات،١٨- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، ١٩- التبصير بما في كتاب التعالم من التزوير.

وكان من مشاهير هؤلاء العلماء في هذا العصر : العلامة المعمَّر الشيخ محمَّد علي الصابوني، ومَنْ أطلق على نفسه لقب: (خادم الكتاب والسنة)؛ إلزاماً لنفسه بالتفاني في خدمتهما حتى آخر نفس من حياته، وقد كان ما رمى إليه وما جعله نصب عينيه؛ فخدمهما تفسيراً وشرحاً، وبياناً وتبسيطاً، واستباطاً وتحليلاً.. حتى غدتْ كتبه تُقرر في المناهج العلمية للمدارس والمعاهد والجامعات، ناهيك عن التصدر في مجالس العلماء العامة والخاصة .

فهو يعد أحد كبار أئمة التفسير في العصر الحديث؛ حيث نالت مؤلفاته شهرة واسعة، وحظيت بالقَبول في أوساط المثقفين وطلاب العلم فضلاً هن العلماء الكبار؛ وخاصة كتابه (صفوة التفاسير) الذي يقترن باسمه في جميع المحافل، وكذلك كتاب (روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن) إذ يُعدُّ من أسهل وأشهر كتب تفسير آيات الأحكام، وأكثرها انتشاراً، وكذلك كتابه الشهير (مختصر تفسير ابن كثير) الذي يدرَّس في المدارس السعودية.

اسمه ومولده ونشأته :

هو مفسر العصر العلامة المجاهد[1] الفقيه المفسِّر اللغوي المشارك المعَمَّر المنوَّر، أبو أيمن محمَّد علي بن العالم الفاضل الشيخ محمَّد جميل بن علي الصابوني[2] الحنفي الحلبي، ثمَّ المجاور المكِّي - نزيل تركيا - حفظه الله في عافية.

---

[1]) **المجاهد**: لأنه صادع بالحق، لم يسكت على جور النظام النصيري وعلمائه، قديماً وحديثاً- حفظه الله .

[2]) **الصابوني**: نسبة لصناعة الصابون التي تشتهر به الديار الحلبية، ومن لطافة الشيخ حول هذا الاسم: قرأتُ لطالب علم مصري أزهري على صفحته الشخصية في فيسبوك نه أراد أن يتعرف على الشيخ: قائلاً من أنت؟ فأجابه الشيخ باللهجة المحكية قائلاً: إنت بإيش بتنظِّف إيدك عند التغسيل؟ فقال الطالب: بالصابون! فقال الشيخ: فإذاً أنا الصابوني.

=

ولد- سلمه الله- في مدينة حلب الشهباء السورية (بلد العلم والعلماء)، في عام ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م، في أسرة عريقة بالعِلْم ورجالاته، فقد خرج من هذه الأسرة جملة من العلماء، أمثال: الشيخ عطاء الله الصابوني، والشيخ أحمد الصابوني، ووالده الشيخ محمَّد جميل الصابوني والذي يُعَدُّ من كبار علماء حلب وأفاضلها المعدودين، وقد شغل منصب قيم الجامع الأموي الكبير بحلب، أي: المسؤول عن شؤون الجامع كلها؛ من الأئمة والخطباء وأهل التدريس.. وغيرها، وهذا المنصب لايعطى إلا لعالم جليل كبير شهير.

فكان بيت أهله: بيت علم وفضل ودِين، وزيارات للمحبين والمستفتين، والبركات تحفه من كل جانب، والخير يخرج منه في كل لحظة وحين.. كيف لا و والده من عمَّار القلوب والأرواح والمساجد؟! وأمه العابدة الصالحة المحبة لرسول الله والمكثرة فيها من الصلاة والسلام عليه.. من هاهنا كانت الانطلاقة الأولى لهذا العَلَم الشهير، فقد كان بيتهم المدرسة الأولى له، وأبوه أستاذه الأول، بل وشيخ فتحه الذي منه انطلق وبه تخرَّج وعُرف، وأمه موجِّهُه الروحي .

حياة والدته العابدة الزاهدة:

والدته السيدة أسماء درويش رَحِمَهَاٱللَّهُ، الشهيرة بالعابدة أسماء، وسبب شهرتها هكذا: كانت صوَّامة قوَّامة، لا تترك صيام يومي الاثنين والخميس، ولا قيام الليل ولو كانت في حالة ضعف، محبة لسيدنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ محبة تُدمع عينيها كلما ذكر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ؛ إذ كانت تلتمس قراءة سيرته من أصغر أحفادها، لأنها كانت أمية لا تعرف قراءة أو كتابة.

= وسمعتُ رجلاً تركي الأصل - ممن يحضِّر رسالة الدكتوراه - يقرأ في كتاب «صفوة التفاسير»، وهو يتكلم باللغة العربية يقول: هو صابونٌ لقلوبنا وأرواحنا.

حتى عُرِفَ عنها واشتهر طوافها حول الكعبة كل يومٍ سبعاً في سبع، حيث كانت تذهب إلى الحرم من صلاة العصر ولا ترجع حتى تنتهي بعد العشاء، وقد بلغت التسعين من العُمر.

ولكثرة تعلقها بالصلاة كانت تسابق المؤذن بالتحضر للصلاة.. وبعد الأذان مباشرة تشرع في صلاتها، وكانت تقوم الليل وتتهجد قياماً على قدميها دون الجلوس، فقد أعطى المولى سبحانه لها قوة على كبر سنها؛ لكثرة تعبدها وصدق وصالها، وإجابة دعوتها .

وكان من دعواتها لولدها المترجَم (يا شيخ علي الله لا يسلط عليك لا حاكم ولا حكيم)، فحفظ الله الشيخ من الحكام وأدام عليه الصحة طوال ثمانين سنة، وبعد أن قارب التسعين بدأ بالتوعك الصحي الذي لابد منه لكبير في العمر، وكذا نجد عند شيخنا الجرأة في الحق، خاصة أمام الحكَّام.. وهذا بعض دعوات الوالدة الصالحة لولدها الصالح.

عُمِّرت رَحِمَهُمَاٱللَّهُ مائة وأربع سنوات، وجاءتها المنية وهي ساجدة في قيام الليل، بجلطة دماغية أبقتها على سجودها، حتى تداعى عليها أهل بيت الشيخ المُترجَم، ونقلوها إلى المستشفى وبقيت فيها عدة أيام، وفارقت الحياة فيها، ودفنت في مقبرة المعلا بمكة المكرمة.

طلبه للعلم :

بدأ يتلقى علوم الآلة على يدي والده العالم الجليل الشيخ محمَّد جميل؛ من قراءة وكتابة ونحو وصرف وإعراب وإملاء وعَروض وفرائض وعقائد وفقه وعلوم القرآن.. وغيرها من علوم العربية التي كان الشيخ جميل يتشدد بها على أولاده وبناته وأحفاده، وكذا مبادئ التجويد والتفسير والحديث.. وغيرها من العلوم التي كانت تشتهر بها

تلكم البلاد. ومع هذا كان ملازماً للكتَّاب، حيث حفظ القرآن الكريم فيه وهو في باكورة الصبا، بمساعدة والده الذي يحفظ القرآن حفظاً متقناً، كحفظ أحدنا سورة الفاتحة، فلا يكاد يخطئ فيه.

ومما يذكر أن الشيخ المترجَم كان يتلو بعض الآيات على والده – رحمه الله – وهو على فراش الموت، وكانت آيات من سورة الأعراف، فأخطأ في المتشابه منها وانتقل إلى سورة أخرى، فإذا بوالده الشيخ جميل يرده مصححاً وهو في حالة النزع.

وبقي تحت أنظار والده العالم الصالح حتى بلغ السن التي تؤهله للانضمام إلى المدارس النظامية الحكومية، فدرس بها المرحلة اللابتدائية حتى أتمها على أحسن تقدير، فتخرَّج فيها للالتحاق بالمرحلة الإعدادية، فكان توجيهه إلى مدرسة التجارة العامة، فدرس بها العام الأول، ولم يستطع المتابعة بها؛ لتدريسهم أصول المعاملات الربوية في البنوك، مع أنه كان الأول على أقرانه في ذاك العام! إلا أن نفسه عافت الدراسة فيها، وتركها إلى غير رجعة.

ثم أراد إتمام مسيرته التعليمية في المدارس الشرعية؛ لأن المدارس الشرعية كانت في تلك الأيام أعلى من الجامعة[1]، حيثُ يُدرِّس فيها فحول العلماء وكبارهم، وتُخرِّج العلماء الذين يجعلون ظلام الدنيا نوراً؛ وحزنها سروراً؛ بدعوتهم الحكيمة وإرشادهم المخلص لله تعالى .

فكان انتسابه إلى المدرسة الخُسْروية[2]- التي بناها والي حلب (خسرو باشا) كأول مدرسة لأهل ولايته- التي كانت تشتهر بـ : أزهر حلب؛ لاشتهارها بكبار العلماء

---

[1] هذا ما قاله الشيخ المرجَم (محمَّد علي الصابوني) في لقائه على قناة دليل، في برنامج عفو التجربة.

[2] المدرسة الخسروية : بناها المهندس المعماري العثماني الشهير والعبقري الكبير سنان باشا سنة ٩٥١هـ الموافق لـ ١٥٤٧م، بأمر من والي حلب خسرو باشا، قبل أن يصبح والي مصر و وزيرالحكومة السليمانية.

يومئذ، وتفاخر خرِّيجيها بها[١]، حيث كانت تجمع بين العلوم الشرعية والكونية، وعرفت بعدها بالكلية الشرعية والثانوية الشرعية .

وكان مديرها يومئذٍ: مؤرخ حلب ومسندها العلامة الشيخ محمَّد راغب الطباخ ومدرسوها: جملة من كبار علماء الديار الحلبية، أمثال: مفتي حلب الشيخ أسعد العبه جي، والشيخ محمَّد سعيد إدلبي، والشيخ محمَّد إبراهيم السلقيني، والشيخ فيض الأيوبي، ومفتي حلب الشيخ محمَّد بلنكو، والشيخ محمَّد ناجي أبو صالح، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ عبد الوهاب سكر البابي، والشيخ محمَّد زين العابدين الجذبة.. وغيرهم .

فدرس المرحلة الإعدادية كاملة بتفوق ملحوظ، ومع دراسته هذه كان والده يصطحبه (مع بعض إخوته) إلى حلقات العلماء ومجالسهم في الجامع الأموي- الذي كان مزدهراً بدروس العلماء والمشاهير- وفي البيوت والمساجد، فتلقى علومه الشرعية على هؤلاء، وبقي على هذه الحال حتى انتقل إلى المرحلة الثانوية، حيث أكمل حفظ القرآن الكريم وأتمَّه، وبقي مستمراً بالعكوف على حلقات كبار العلماء الربانيين في مدينته حلب -التي كانت تشتهر بعلمائها-، وكان غالبهم من شيوخ والده وشيوخ شيوخه.

وأجازه جملة منهم بطلب منه ومن والده، ومن هؤلاء الذين تحمَّل منهم وروى (عنهم عدا والده):

الشيخ محمَّد راغب الطباخ؛ حيث كان مدير مدرستهم ومدرسهم لمادتي الحديث ومصطلحه، فتلقى عنه كتاب الشمائل والأربعين النووية وبعض المسلسلات؛ إذ الشيخ

---

[١] وكان ممن دَرَس فيها وتخرَّج بها من مشاهير العلماء: الدكتور الأصولي مصطفى الزرقا، والحافظ الشيخ عبد الله سراج الدِّين، والشيخ المربي محمَّد النبهان، والشيخ المقرئ الفرضي محمَّد نجيب خياطة، والدكتور الشيخ معروف الدواليبي، والشيخ المتبحر عبد الفتاح أبو غدة، الشيخ عبد الوهاب سكر، الشيخ المربي محمَّد أديب حسون، الشيخ المفتي إبراهيم السلقيني.. وغيرهم

كان يحرص على ذلك مع طلابه، ويتساهل في إعطاء إجازته لهم؛ بغية اتصال السند ونشر العلم بين أهله.

وأنشدهم الشيخ راغب أبيات ابن الرومي في تزيين الباطل بحسن الألفاظ، وهي:

فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِـهِ   وَالْحَقُّ قَـدْ يَعْتَرِيـهِ سُـوءُ تَعْبِـيرِ
تَقُولُ: هَذَا مُجَاجُ النَّحْـلِ تَمْدَحُـهُ   وَإِنْ ذَمَمْتَ تَقُـلْ: قَيْءُ الزَّنَـابِيرِ

فحفظها منه، وبقي ينشدها في مجالسه العامرة، حتى أنشدنا إياها سنة ١٤٣٨هـ.

والشيخ محمَّد سعيد الإدلبي: الذي كان له مربياً وموجهاً في المدرسة وخارجها، بل كان يجد في تلميذه هذا النجابة والبغية المنشودة، وكذا جملة من التلاميذ، ولكن تلميذه هذا كانت له مزية دون غيره؛ إذ والده الشيخ جميل من تلاميذه وأحبابه، وهذا الحِبُّ ابن الحب.

حضر دروسه صغيراً ولازمها يافعاً وشاباً، حتى تعلقت روح كل منهما بالآخر، وكان الشيخ الصابوني لا يدع شيخه بعد درس الفقه والتفسير والحديث - المنتهي بعد العشاء - إلا ويوصله إلى بيته، وكان الشيخ سعيداً -كعادته- يزوده بالدعوات الصالحات التي يخرجها من قلبه المنكسر.

ومرة بعد أن أوصله التلميذ - البالغ من العمر اثني عشر سنة - إلى بيته سأله دعوة صالحة خاصة، فقال له الشيخ سعيد: سأدعو لك بدعوة كما كان شيخي يدعو لي.. اللّٰهُمَّ ثبته على دينه وارزقه الإخلاص. فوجدها التلميذ دعوة لطيفة، لكن لا تكفي، فأسرها في قلبه، والشيخ سعيد - رحمه الله - لم يزد على تلك الدعوات.

يقول الشيخ الصابوني:

لمَّا بلغت الشباب وجدتُ معنى هذه الدعوات، ولما دخلت في الرجولة وجدتُ

معانيها أكثر، ولا زلت إلى الآن أنتفع بتلك الدعوات[1] .

والشيخ محمَّد نجيب سراج الدِّين: هذا الجبل الأشم الذي كان يحضر دروسه في الجامع الأموي بصحبة والده قيِّم الجامع وبعض إخوته.

فقد تعلم منه الصناعة التفسيرية وفقه الحديث، وناهيك عن الدرر اللغوية والفوائد العربية في الدروس الخاصة والعامة؛ إذ كان الشيخ نجيباً يجلس في مكان شيخ والده العارف المحدث الفقيه أحمد الترمانيني في الجامع الأموي ويحدِّث الناس بالكتب الحديثية، والشيخ الصابوني متردد إلى درسه مرابط في الجامع مع والده وإخوته، بل ربما ينام لأيام في غرفة خاصة له في ذلكم الجامع الكبير، فكان تلميذاً من صغار الطلبة الذين تحملوا التفسير والحديث عن الشيخ نجيب، ثم أزهر علمهم فأثمر فأينع، والناس إلى اليوم يجنون ثماره بكل عين راضية ونفس طيبة.

والشيخ أحمد الشمَّاع الرفاعي[2]: ثاني شيوخه في الفضل بما اشتهر به؛ من تفسير وحديث وفقه، فقد طلبتُ من سيدي الأستاذ أنس - سلمه الله - سؤال والده عن عمدته في التفسير، الذي علمه الصناعة التفسيرية، فأجابه الشيخ المترجَم له بأنهما الشيخان المفسران المحدثان الفقيهان السيدان: **محمَّد نجيب سراج الدِّين وأحمد** الشماع (الحلبيان الحسينيان).

تلقى عنه الشيخ المترجَم له في المدرسة الخسروية مادة التفسير، ولازم دروسه في الجامع الأموي، كما تحمَّل عنه حال العلماء الربانيين، كالشفقة على الخلق وكثرة الذِّكر والتضرُّع؛ بغية الفتوح في المسائل المغلقة ووالدقائق المستعصية على أهل الفهم.

---

[1] ومن فضل الله عليَّ أن دعا لي سيدي الشيخ الصابوني بهذه الدعوة مرات .

(2) الشيخان الجليلان محمَّد نجيب سراج الدِّين وأحمد الشمَّاع: هما عمدته في ما به بَرَع من التفسير والفقه وغيرها.

والشيخ محمَّد نجيب خياطة: هذا الشيخ الذي علَّمه علوم القرآن والتجويد والمخارج وبعض القراءات، والمواريث التي درَّسها في كلية الشريعة بمكة وألف فيها كتاباً مبسطاً؛ كيف لا وهو شيخ قرَّاء الدِّيار الحلبية وفرضيُّها، ومدرِّس المدرسة الخسروية، فقد كان يدرسهم في المدرسة الخسروية القرآن وعلومه، وكذا وجهه والده بالالتزام معه، للنهل من ينبوع علمه وحاله، فاستقى منه الكثير الطيب، وفاز مع جملة من فاز.

والشيخ أسعد العبه جي: مفتي حلب الشافعي الحنفي، تلقى عنه المُترجَم دروس أصول الفقه واللغة؛ من نحو وصرف وبلاغة .. ولما رأى فيه النجابة أجاز له كما أجاز لجملة من الطلاب.

زواجه وتخرجه من الخسروية بتفوق:

وبعد إتمام المرحلة الثانوية الشرعية بتفوق.. تخرَّج بها بدرجة ممتاز (مع مرتبة الشرف)، وذلك في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، مما أهَّله لاستحقاق بعثة على نفقة وزارة الأوقاف في الحكومة السورية إلى القاهرة للدراسة بجامعة الأزهر الشريف.

وكان لهذا التفوق سببٌ قصته رائعة (تنهض بهمم المتزوجين)، وهي كما رواها الشيخ المترجَم عن نفسه[١]، قال: كنتُ في الصف الثاني الثانوي، وعمري بين السادسة عشرة ونصف السابعة عشرة، أي: باقي لي سنة ونصف على التَخَرُّج من المدرسة الخسروية، وكانت نفسي تتوق للزواج؛ لأن أمي تشجعني على ذلك وتحضني عليه، وكانت امرأة تحتاج إلى من يعينها في عمل البيت، فعزمتُ عليه وأخبرتُ والدي برغبتي فيه، فكان جوابه الموافقة على الزواج، لكن بعد التخرُّج والانتهاء من الدراسة! فراجعته فيه

[١] رواها في برنامج عفو التجربة، الذي يبث على قناة دليل في تلفزيون المملكة السعودية، وكان المحاور له الشيخ مسعود الغامدي.

مرات، لكنه كان يصرُّ على التخرُّج، فقلتُ: لا يساعدني في هذا إلاشيخنا[1]، وكان شيخاً كبيراً في بلادنا، فذهبتُ إليه وأخبرته بالقصة، واتفقت معه على إقناعه.

وفي كل يوم جمعة (عقب الصلاة والدرس) كان لشيخنا هذا عادة في التنزه مع بعض طلابه وإخوانه من العلماء(قرابة أربعين أوخمسين)؛ حيث يأخذهم في الحافلة إلى أطراف حلب، حيث البساتين والهواء العليل وشيِّ اللحم والإنشاد الهادف بالأصوات الجميلة.. للترويح عن النفس، وفي يوم الجمعة التالية اتفقتُ مع شيخنا لدعوة والدي باسم الشيخ، فوافق. فدعوتُ والدي وحضر وكان من جملة المتنزهين، وبعد الغداء بمجلس لطيف، قال الشيخ لوالدي (باللهجة الحلبية): يا شيخ محمَّد جميل: مابدك تفرحنا بمحمَّد علي؟ فقال والدي: خلاص متى أخذ الثانوية نزوجو، أنا بخاف يتأخَّر(عن العلم والدراسة)!

قال له الشيخ: لا الأمر ليس بيدك! نأخذها بالتصويت، فكثرت الأصوات المنادية بتزويجه، فصدر حكم عليه بتزويجي، وتزوجتُ بعد فترة قصيرة.

يتابع الشيخ المترجَم قائلاً: وحتى أثبت للوالد أن الزواج لايؤخِّرنا عن طلب العلم.. شددتُ الهمة في ذلك العام وجَدَّيتُ وأخذتُ المرتبة الأولى في الثانوية الشرعية، وأرسلتُ بعثة، والحمد لله . اهـ بتصرف يسير.

وللشيخ الصابوني قصة في يوم زواجه، حيث حان وقت زفافه لعروسه، وإذا بخبر يأتيه أن أحد أشياخه قد عاد من سفره، فما كان من الشيخ المترجَم إلا أن نسي عرسه وعروسه، وذهب يهنئ شيخه بسلامة الوصول! وهذا دليل على تعلق الشيخ بأشياخه، حتى ولو كان على حساب عرسه.

لطيفة: من توافق الأقدار وتهيأة الأسباب لشيخنا المترجَم: أنه عقب تخرُّجه من

---

[1] غالب الظن هو الشيخ محمَّد سعيد إدلبي؛ لأنه كان عنده محبوباً مقرباً (مثل أبيه).

الثانوية الشرعية (المدرسة الخسروية)، كانت مديرية الأوقاف العليا بدمشق[1] تريد افتتاح كلية للشريعة، لكن احتاجوا إلى أساتذة من ذوي الكفاءة العالية، فقرروا أن يبعثوا بعثة مشتركة من حلب ودمشق، فتقدمت بالطلب الكثير ممن تخرَّج من المعاهد الشرعية والمدارس الحكومية، فرتبوا لهم امتحاناً قوياً؛ لإظهار أهل العلم منهم، فكان الناجحون: ثلاثة من دمشق ومثلهم من حلب، وشيخنا المترجَم أحدهم.

رحلتاه إلى الأزهر في مصر وتدريسه في حلب :

سافر مع زوجته إلى مصر، وسكنا في حي الدقي المشهور في القاهرة، والتحق بكلية الشريعة في الأزهر فيها، وكانت زوجته معينه على طلب العلم، حيث أراحته مما أتعب أقرانه الطلاب، من: طبخ طعام وترتيب بيت وغسل ملابس.. إلخ، فتَفَرَّغ للعلم وانتفع بالوقت[2]، ولأجل هذا ألف رسالته- فيما بعد -: الزواج الإسلامي المبكِّر سعادة وحصانة .

وأتمَّ الدراسة الجامعية فيها أربع سنوات متتاليات بتفوق على الأقران، ونال شهادتها، ثم أكمل دراسته العليا - في الأزهر أيضاً - بتخصص في القضاء الشرعي، وأتمها على أحسن تقدير، فحصل على شهادة العالمية، التي كانت حينها تُعدُّ أعلى الشهادات في الأزهر الشريف (المعادِلة لشهادة الدكتوراه اليوم[3]) وكانت بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف ، وذلك عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م .

---

[1] في ذلك الزمان لا يوجد شيء اسمه وزارة الأوقاف، إنما مديرية الأوقاف، ولها فروع في المحافظات تسمى: مديرية. أما اليوم؛ فالوزارة في دمشق، والمديريات في المحافظات.

[2] ذكرها بروح لطيفة في مقابلته التلفزيونية .

[3] - **فائدة**: قال شيخنا المترجَم: بُدأ العمل بشهادة الدكتوراه في الأزهر الشريف: سنة ١٩٦٠م، حيث جمعوا كبار العلماء ونظَّموا لهم احتفاءً، ثم امتحاناً بمادة واحدة؛ لأنهم كانوا من جهابذة العصر، فالعلم عندهم، لكن لتكون الشهادة بعد اجتياز الامتحان، فنجح الشيوخ، وبدأ منح الشهادة لمن نجح في ذلك الامتحان .

وفي هذه السنوات ولدت له ابنته الكبرى في مصر، وهي اليوم زوجة الدكتور صالح رضا الحلبي، أستاذ مادة الحديث الشريف في جامعة أبها، ثم في جامعة الشارقة.

وبعد أن حصل على هذه الدرجة من الأزهر الشريف عاد إلى مدينته حلب لينفع أهل بلده بما تحمله من علوم وفهوم، فعينته الحكومة أستاذاً مدرساً لمادة الثقافة الإسلامية بدور المعلمين والمدارس الثانوية العامة بحلب، فاشتغل بالتدريس قرابة ستِّ سنوات، لكن لم يجد نفسه تركن للتعليم وهو في عُمر الطلب، فترك التعليم وعاد إلى أزهر مصر ليكون طالباً من جديد بين يدي كبار العلماء فيها، وكان ذلك في عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، فبدأ بحضور الدروس فيه مدة على مشاهير العلماء وعارفيهم، وعملوا فحص المقابلة.. إلا أن سوء العلاقات بين مصر وسورية وانفصال الوحدة بينهما، أثر على الطلاب السوريين هنا! فقد أمر الرئيس المصري عبد الناصر بإخراج الطلاب السوريين من مصر، فحالت هذه الأمور دون إتمام الدراسة، فعاد إلى حلب ليكمل التدريس والإفادة في ثانوياتها ولطلابها قرابة ثماني سنوات، حتى نهاية عام ١٣٨١هـ.

رحلته إلى الحجاز وتبحره في العلم:

وفي عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م انتدب لبعثة من وزارة التربية والتعليم السورية على رأس البعثة التعليمية إلى المملكة السعودية (مكة المكرَّمة)، والتي كانت لمدة أربع سنوات، لكنها امتدت إلى أربعين سنة، بل زادات عشرة أخرى، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء[1].

قام بالتدريس في هذه السنوات بعدة كليات سعودية، من بينها: كلية التربية بمكة المكرمة، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية التابعة لجامعة الملك عبد العزيز، ثم كلية الشريعة بجامعة أم القرى.. حتى قرابة ثلاثين عاماً، تخرج فيها على يديه العديد من

---

[1] هذا التاريخ صدر من بيت الشيخ، لكن أخبر شيخنا المترجمَ في لقائه على قناة الدليل، ببرنامج عفو التجربة بأنه انتدب سنة ١٩٦١م.

الأساتذة والعلماء وأئمة الحرم المكي الشريف.

وكان أثناء تدريسه في الجامعة لا يتكاسل في تحصيل العلم وطلبه، فكان يحضر دروس الحرم المكي وغيرها على كبار العلماء في ذلك الوقت، أمثال: الشيخ محمَّد العربي التباني، والشيخ السيد علوي المالكي، والشيخ حسن المشاط، والشيخ محمَّد أمين كتبي، والشيخ عبد الله اللحجي، والشيخ محمَّد ياسين الفاداني.. وغيرهم ممن تزدهر المجالس بذكرهم.

فلزمهم ملازمة الطالب المتعطش، وانتفع بهم أيما انتفاع، ونال من فضلهم ما نال، فتبحر عندهم وعلا شأنه فيهم وكبرت مكانته عندهم، فأجازه الكثير منهم بما يجوز لهم روايته، كما أجازه له من كان يجتمع بهم من العلماء، من أهل مكة والآفاقيين؛ إذ كانت تغصُّ مجالس علماء مكة بالوافدين من علماء الآفاق، فتُقرأ عليهم الكتب الحديثية والمدائح النبوية، وتكثر البركات، وفي نهاية المجالس يرغبُ علماء مكة -كعادتهم- الاستجازة من العلماء الوافدين والعلماء الباقين، لمن حضر من العلماء خاصة وللحضور عامة، وأحياناً يعممونها للأهل والذرية[1]، وربما يتدبج العلماء فيما بينهم (وهذا حاصل كثير).

كما كانت له مع بعض العلماء مجالس خاصة يتدارسون فيها بعض أمهات الكتب، كالمجلس الذي يجتمع فيه مع الشيخ عبد الفتاح أبي غدة وبعض أهل العلم، فيتدارسون كتاب الأم للإمام الشافعي، ناهيك عن الأمسيات الأدبية والعلمية التي تضم كبار أهل العلم والفضل في مكة وجدة نواحي الحجاز.

وبعد هذه السنوات من التدريس في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، أسندت إليه

---

[1] مما وجدته عند شيخنا: عدم توجهه للإجازة والإسناد كتوجهه للدراية والتبحر في العلوم! ولمَّا تطاول عليه العمر وتباعدت عنه السنون.. نسي منهم مَنْ نسي، وتَذكَّر منهم مَنْ تَذكَّر.

الجامعة مهمة التحقيق في بعض كتب التراث المهمّة، وتم تعيينه في مركز البحوث العلمية وإحياء التراث كباحث علمي، وقد جاء هذا التكليف بناء على نشاطه العلمي البحثي المكثف، فأُسنَدت إليه مهمة تحقيق كتاب من أهم كتب التفسير؛ وهو: «معاني القرآن» للإمام أبي جعفر النَّحَّاس؛ إذ هو من أهم كتب التفسير المخطوطة، وعلى الرغم من كونها مخطوطة وحيدة (في العالم)، إلا أنه اجتهد في تحقيقها اجتهاداً عظيماً، دام قرابة خمس سنوات، فنجح فيه نجاحاً باهراً، وأخرجه بحلة قشيبة في ستة أجزاء، أدهشت العلماء وإدارة الجامعة، فشهدوا له بأنه محقّق تحقيقاً علميّاً رائعاً لا نظير له، وطبعه تحت اسم جامعة أم القرى بمكة، مما زادهم له إكباراً.

وامتدت فترة انتدابه إلى ثمان وعشرين عاماً، شغلها بالتعليم والتعلُّم والإصلاح وسبل الخير، ظهر نتاجها جلياً في المملكة وخارجها.

ثم بعد هذه المرحلة وفي عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٨م بدأ الشيخ العمل مستشاراً في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (التابعة لرابطة العالم الإسلامي) وبقي فيها لعدة سنوات يعمل بدون راتب، أرسل من خلالها بعثات علمية إلى عدة بلدان، أمثال نيجيرية وجزر القُمُر والجزائر.. حتى طاف العالَم جلَّه.

تفرُّغه للتأليف :

ومن ثمَّ تفرَّغ لتحقيق الكتب وتأليفها، فأكرمه المولى سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهمة عجيبة في التأليف، مع قَبولٍ لمؤلفاته قبولاً حسناً؛ إذ جمع المُعَاصَرَة مع سهولة التأليف، التي افتقدها كثير ممن ألَّف من أهل زماننا، ناهيك عن إخلاصه الذي تجد رائحته تفوح من كتبه، وهو ما ميَّز الشيخ عن غيره في التأليف، والفضل عائد في هذا كله -بعد الله تعالى- لوالده الكريم وشيوخه الذين نَهَل من أحوالهم وأقوالهم وعلومهم.

وقد أَلَّف بعضها أثناء تدريسه في الجامعة، والبعض الآخر بعد انتهائه من التدريس وتفرغه للتأليف، فكانت مؤلفاته في شتى العلوم الشرعية والعربية، وقد تجاوزت الخمسين كتاباً، ولاقت قبولاً وانتشاراً واسعاً بين العلماء وطلاب العلم والمختصين في شتى أنحاء العالم الإسلامي، بل وفي بعض المجالات اعتمدت دون غيرها.

فألَّف في التفسير وعلوم القرآن، والحديث وشروحه، والفقه وأصوله، كما أَلَّف في السيرة النبوية وقصص الأنبياء، لكن جلُّ توجهه التصنيفي كان في التفسير وعلوم القرآن.

ونظراً لما اتسمت به من بساطة في العبارة، مع عمق في المادة العلميّة، تُرجم أغلبها إلى لغات مختلفة، كالتركية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والملاوية والفارسية والأوردية والهوساوية والسواحلية.. وغيرها من لغات العالم.

ومن أشهر هذه المؤلفات المطبوعة دون المخطوطة (على سبيل المثال لا الحصر):

١- **صفوة التفاسير**: وهو أشهر كُتُبه وبه يُعْرف؛ لأنه انتخبه من أشهر كتب التفسير؛ كالطبري والكشاف والقرطبي والآلوسي وابن كثير والبحر المحيط.. وغيرها، فاعتمده كثير من العلماء في دروس التفسير الخاصة والعامة؛ لسهولة ألفاظه وغنى مادته، وبراعة تنسيقه، وقد تُرْجِم إلى عدَّة لغات عالمية.

وقد وصفه الشيخ بقوله: تفسير للقرآن الكريم، جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق كتب التفسير (الطبري، الكشَّاف، القرطبي، الآلوسي، ابن كثير، البحر المحيط.. وغيرها)، بأسلوبٍ مُيَسيرٍ، وتنظيم حديثٍ، مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية. اهـ وسأفرد عنه مقالاً بعد ذكر أشهر مؤلفاته.

٢- **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام**: هو كتاب غزير الفائدة، جامع لمادته، ماتع في أسلوبه، قرره الكثير من العلماء لطلاب العلم، بالإضافة لجعله مادة أساسية في

معظم الجامعات الإسلامية؛ لأنهم وجدوا فيه خلاصة الأقوال ونفائس اللطائف وفرائد الفوائد، ناهيك عن الوجوه البيانية.. كلها بأسلوب معاصر مفهوم.

وقد وصفه الشيخ بقوله: تفسير خاص لآيات الأحكام، مستمَد من أوثق مصادر التفسير القديمة والحديثة، بأسلوب مبتكرٍ وطريقة جديدة، مع عرضٍ شاملٍ لأدلة الفقه وبيان الحكمة التشريعية. اهـ

٣- **التفسير الواضح الميسر**: كتاب ميسر في التفسير، حذف الشيخ منه الوجوه البيانية واللغوية ومقدمات السور، فصار التفسير فيه لكل آية تامة تفسيراً مجملاً، وبعدها ينتقل إلى الآية الثانية ويفسرها بمجملها، لكن باختصار .. وهكذا في جميع سور آيات القرآن، فكان في ثلاثة أجزاء.

٤- **درة التفاسير** : هو تفسير لطيف على هامش المصحف (في مجلد واحد) اقتصر الشيخ فيه على المهم من الكلمات أوالجمل، فجعل لها تفسيراً مختصراً جداً، بحيث يفهم القارئ الكريم معاني الكلمات دون التوسع فيها.

٥- **قبس من نور القرآن**: وهو موسوعة تفسيرية، لعله لم ينسج على منوالها؛ إذ جاءت في التفسير التحليلي الموضوعي لمقاصد السور وأهدافها، حيث جمعت بين الأصالة والحداثة، وكانت موسوعة ضخمة في ستة عشر جزءاً، لا يمل الطالب من قطوف فوائدها، فضلاً عن العلماء الذين تخصصوا في التفسير وعلوم القرآن.

٦- **مختصر تفسير الإمام ابن كثير**: مُختصره هذا من أنفع و أشهر المُختصرات، وقد جاء ليخدم طلاب العلم في مدارس السعودية خاصة وغيرها عامة؛ إذ كان مقرراً عند بعض المراحل الدراسية، فجاء بحلتة القشيبة الجديدة، من غير إخلالٍ أو إشعارٍ بالإسقاط؛ إذ أبقى فيه على لفظِ الإمام ، وحذف الإسناد والمكرر.

قال الشيخ في مقدمته: ولمَّا كان تفسير العلامة ابن كثير رحمه الله- على مافيه من

مزايا كريمة – لا ينتفع منه إلا الخاصة من العلماء، وذلك بسبب مافيه من تطويل وتفصيل لأمور لاحاجة لذكرها، وبخاصة عند ذكر الآثار المروية، والأسانيد للأحاديث الشريفة، مع أن معظمها في كتب الصحاح، وكذلك الكلام على هذه الأسانيد بالجرح والتعديل، ومافيها من خلافات فقهية لا ضرورة لذكرها، مما تجعل الفائدة منها قاصرة على فئة مخصوصة من طلبة العلم الشرعي.

لذلك فقد عزمنا النية على اختصارها، وتنقيتها من الشوائب، استجابة للرغبة الملحة من إخوتنا الأفاضل، وبتكليف من (دار القرآن الكريم)، ليعم بها النفع وتتحق منها الفائدة المرجوة، علماً بأن اختصارها لا يعني أننا أغفلنا شطره، وحذفنا كثيراً منه، بل إنَّ ما فعلناه لا يعدو أن يكون حذفاً لما لا ضرورة له، من الروايات المكررة، والأسانيد المطولة، والآثار الضعيفة، والأحكام التي لا حاجة لها، وبقي روح التفسير كما هو، بثوبه القشيب، وجماله الناصع، وأسلوبه الميسر، مع تمام الترابط والانسجام. اهـ

٧- **مختصر تفسير الطبري**: هو كتاب عمل في اختصاره مع صهره الدكتور صالح أحمد رضا[1]، حيث اختصراه بطريقة جليلة، لم يسبق إلى مثلها، جعلت من هذا

---

[1] الدكتور الشيخ صالح أحمد رضا، الصهر الأول لشيخنا محمَّد علي الصابوني. ولد في مدينة حلب بتاريخ ٢٠/٣/ ١٩٤٢م، درس في حلب الابتدائية والإعدادية والثانوية، ثم انتسب إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق، عام ١٩٦٠ وتخرج بها عام ١٩٦٤م، ثم إلتحق بالأزهر الشريف في مصر (قسم الدراسات العليا)، فحصل على الماجستير في الحديث الشريف عام ١٩٦٧م، وعلى ماجستير في أصول الفقه عام ١٩٦٨م، ثم حصل على الدكتوراه في الحديث الشريف عام ١٩٧١م، ثم بعد الماجستير في الحديث درَّس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لمدة سنتين، ثم رجع إلى حلب، فطلب إلى العسكرية في عام ١٩٧١م وانتهى منها بعد سنتين ونصف، ثم في عام ١٩٧٣ سافر إلى الرياض ودرَّس في جامعة الإمام محمَّد بن سعود، وبقي فيها ست سنوات، ولمَّا افتتحت جامعة أبها نُقل إليها، وبقي مدرِّساً فيها لمادة الحديث والسيرة النبوية وأصول الفقه سبعة عشر سنة، ثم انتقل إلى جامعة الشارقة مدرِّساً لمادة الحديث الشريف والسيرة النبوية أربع عشرسنة. له من المؤلفات: موسوعة الإعجاز العلمي في السنة النبوي، وهو في مجلدين ضخمين (قرابة ١٦٠٠ صفحة)، وكتاب =

الاختصار تفسيراً للإمام الطبري ذاته؛ فقد جمعا من هذا التفسير الكبير ما رجحه الإمام الطبري من أقوال للمفسرين، وما حرره من فقهه.. فكان مجموعه في مجلدين، ليكون هذا العمل في المراتب الأولى عند المفسرين من أهل العصر.

وكان لكل واحد منهما النصف، فقد عمل الشيخ الصابوني باختصاره من سورة الفاتحة حتى سورة الكهف، وأتم الشيخ صالح من سورة الكهف حتى سورة الناس.

٨- **إيجاز البيان في سور القرآن**: كتاب اختصر فيه الشيخ التعريف بكل سورة من سور القرآن الكريم، كل واحدة على حدى، فبين اسم السورة، ومكان نزولها، وسببه، وما تضمنته من الهدي الإلهي والتشريع الرباني، وذكر أبرز ما تناولته من أحداث، مع بيان مافي مفتتح السورة وخاتمتها..

٩- **التبيان في علوم القرآن**: وهو كتاب جمع الشيخ مادته من أمات الكتب لطلاب كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ثم رأى من تمام المنفعة جعله في كتاب مستقل ونشره لمن أراد التعرف على علوم القرآن بصورة ميسرة.

١٠-١٥-شرح (**البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه**): سلسلة هذه الشروح كانت عبارة عن: شرح الألفاظ اللغوية والجمل منها، بشيء من التفصيل وتوضيح معنى الحديث بشيء من الإيجاز، وبيان الأحكام التشريعية التي تستنبط من الحديث، مع الاستعانة بأقوال المحدثين والأئمة الفقهاء الأربعة

= قطوف من رياض السنة، شرح فيه خمسون حديثاً نبوياً بطريقة الشرح الميسر للحديث، ثم البيان اللغوي، كتاب في السيرة النبوية، اسمه: إنها النبوة، يقع في مجلد ضخم قرابة ٦٠٠ صحيفة، وحقق كتاب: الخشوع في الصلاة لابن رجب الحنبلي. له اهتمام في الرواية، فقد أجازه جملة من كبار العلماء، أمثال: الشيخ محمَّد يوسف البنوري، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ عبد الله بن الغماري، والشيخ محمَّد ياسين الفاداني، الشيخ أحمد مشهور الحداد.. وغيرهم.

المجتهدين، والتعريف ببعض رواة الحديث، وذكر ما يتعلق بالحديث من الأمور الهامة التي ينبغي التنبه لها، وفيها ردود علمية مدعمة بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة على من ضعف بعض الأحاديث في صحيح البخاري أو أنكرها؛ بحجة تصادمها مع العقل أو عدم اتفاقها مع العلم، بسبب استغلاق فهمها عليهم.

١٦- **شرح رياض الصالحين**: هي تعليقات في حاشية الكتاب، لتزيد القارئ عشقاً في جمال الكلام النبوي، وترشده لفهم الهدي المصطفوي.. قال الشيخ في وصفه: ...توضيحٌ وبيانٌ لدقائق المعاني، وبدائع الأحكام في الأحاديث النبوية الشريفة . اهـ

١٧- **من كنوز السُّنَّة**: من كنوز السُّنَّة: وهو كتاب في أربعين حديثاً تربوية إيمانية، انتقاها شيخنا ليكون لها وقع في قلوب الشباب! فتخشع لعظمة الحق جَلَّجَلَالُهُ ، وتعرف معانيها بعد التعرف على فصاحة من لا ينطق عن الهوى، فتكون لهم خير زاد في الدعوة إلى الله وتعريف الخلق بالخالق..

وقد تنوع جمعها لتتلون مراجعها، فهي من أهم كتب السنة وأشهرها، (البخاري ومسلم والترمذي والطبراني)، ثم شرحها بطريقة أدبية رائعة؛ أظهر فيها غريب ألفاظها، والدلالة على معاني الهدي النبوي في اللغة، ومايدل إليه الحديث من الأحكام.. وغيرها.

وكان أصل جمعها في مكة المكرَّمة لطلبة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (قسم اللغة العربية)، حيث كان يعمل مدرساً فيها، ليكون مادتهم في الدراسات الأدبية واللغوية من الحديث الشريف، مقروناً بمُؤلَّف الشيخ محمَّد بن عبد القادر المبارك الدمشقي الدراسات الأدبية واللغوية من القرآن الكريم، وهذا قبل خمسين عاماً تامة.

قال في مقدمته لها: هذه مقتطفات من أحاديث سيد المرسلين، انتقيتها من كتب الصحاح لطلبة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (قسم اللغة العربية) بمكة

المكرَّمة، وقد أبرزتُ مافيها من مواطن الجمال، والروعة والإبداع، وبينتُ ما فيها من الوجوه البلاغة، وأسرار البيان النبوي..

وقد جعل شيخنا عمله في هذا السِّفر - بعد كل متن حديث منها - على النحو التالي:

- أبحاث اللغة العربية .
- الأبحاث النحوية .
- الأبحاث البلاغية .
- الشرح الأدبي .
- وغالباً يُعَرِّف براوي الحديث، وأحياناً يضع سبباً للحديث .

فائدة: اختار شيخنا المتن من: المتفق عليه عند البخاري ومسلم (وعددها أربعة أحاديث)، وما راوه البخاري ومسلم (وعددها ثمانية)، وما رواه البخاري ومسلم والترمذي (وعددها اثنان)، وما رواه البخاري والترمذي (وعددها واحد)، وما رواه البخاري وابن ماجه (وعددها واحد)، وما انفرد به الإمام البخاري في صحيحه (وعددها سبعة أحاديث)، ما انفرد به الإمام مسلم في صحيحه (وعددها عشرة أحاديث)، وما انفرد به الإمام الترمذي (وعددها ستة)، وما انفرد به الطبراني (وعددها واحد).

- إلحاق عشرة أحاديث (دون شرح) منتقاة بحكمة، تفيد كل طالب علم أو شيخ أو عالم، وكان تخريجها: بين متفق عليه، والبخاري، ومسلم (و واحد رواه أبو داوود والترمذي والنسائي).

- ألحاق أربعة عشر حديثاً لطيفة (لا تتجاوز السطر) من جوامع كلمه ﷺ، تناسباً مع هذه المادة.

وأخيراً : قرَّظ هذا الكتاب عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرَمة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد المجيد البغدادي، بكلمات ملؤها الروعة والمناسبة، أثنى في نهايتها على أخيه الشيخ الوقور - على حد وصفه - الشيخ محمَّد علي الصابوني .. ثم أرخها بـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .[١]

وقد رأيت بعض الجامعات في تركية قررته لتلامذتها، ليكون لطلابها عناية خاصة لغة الحديث ومعانيه .

---

[١] عقد في هذا الكتاب مجلس عظيم في مدينة إسطنبول، في الثلث الأول من شهر شباط الواقع في شهر جمادى الآخرة، وكان في جامع السلطان سليم ياووز، فحضره العلماء والمشايخ وطلاب العلم (من الجنسين: الذكور والإناث)، وكان من أبرز الحضور شيخ الشافعية في دمشق المقرئ الشيخ محمَّد شقير، وكان ممن دعا للحضور دعاء الختم وشيخنا الصابوني يسمع، ومحدِّث إزمير وما جاورها الشيخ حسين عوني التركي الأصل، حيث ألقى درساً لطيفاً على الحضور – قبل وصول شيخنا، وكان باللغتين العربية والتركية – تضمن تعريفاً بالحديث وعلومه، وبعض مباحث الحديث المسلسل، وأدب طلاب العِلْم تجاه الحديث وأهله، وفرضي الشام الشيخ محمَّد موفق المرابع، والشيخ الدكتور خالد الخرسا، والحافظ الشيخ هشام بن شيخ القرَّاء العارف محمَّد سكر الصيادي الرفاعي الدمشقي ... وغيرهم.

وكان المتأمل حضور نحو الألفين من الذكور والإناث، لكن كانت المفاجأة بحضور نحو ستة آلاف منهم، امتلأ منهم المسجد وضاق بهم المكان، وبقيت النساء في خارج المسجد من الازدحام وقلة المكان، رغم البرد الشديد ونزول الثلج في تلكم الأيام، ناهيكم عن امتلاء مسجد إسماعيل آغا بالرجال والنساء الذين يستمعون إلى البث المباشر (صوتاً وصورةً) عبر أجهزة المسجد المعدَّة لنقل الدروس.

وكانت القراءة مناوبة على المشايخ الفضلاء: الدكتور المقرئ الشهير يحي الغوثاني (مقرئ القراءات العشر في المسجد النبوي الشريف) ، والدكتور المحدث محمَّد بسام حجازي (شيخ دار الحديث في وقف سنان باشا) والشيخ المسنِد علي المحيميد ، والشيخ الحافظ الجامع عبد الله العبيدي ، والشيخ الحافظ محمَّد الصباغ .

وفي نهاية المجلس طُلِبتْ الإجازة الخاصة بما قرأُ والعامة بما يجوز له لجميع الحضور ، فأجاز شيخنا لهم بما طلبوا (بلفظه) ودعا لهم بكلمات يسيرات مع دمعات انهالت على خذه الشريفن ألهب الموقف وحركت القلوب.

١٨- **المنتقى المختار من كتاب الأذكار** (للإمام النووي).

١٩- **النبوة والأنبياء**: كتاب جمع فيه الشيخ ما صحَّ عن حياة الأنبياء بإيجاز وأسلوب قصصي ميسر، حتى يفهمه كل مثقف فضلاً عن أهل العلم. وقد طرزه بدرر الفوائد التي يرحل إلى مثلها، فكان خلاصة من الكتب التي تتحدث عن الأنبياء، وقد قال في مقدمته له: وقد راعيتُ فيه الإيجاز، والتنقيح للأخبار، فتركتُ الغث وأخذت الصحيح السمين، واعتمدتُ على أوثق المصادر؛ ألا وهو كتاب الله تعالى: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ}؛ فأكثرتُ من الاستشهاد به، ثم على أقوال المفسرين الموثوقين، كما أخذتُ بالأخبار الثابتة الصحيحة من كلام سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم وآله وسلم -. وقد راجعتُ الكتب التاريخية، فانتقيتُ منها الأخبار التي توافق ما جاء في الكتاب والسنة ولا تخالف المعقول، وطرحتُ منها ما كان من إسرائيليات بعيدة عن منطق العقل والدِّين... اهـ

٢٠-٢١- **موسوعة الفقه الميسر** (فقه العبادات والمعاملات المقارن): بمجلدين ضخمين، في كل مجلد أربعة أجزاء.

وضع الشيخ في هذه الموسوعة الفقه الإسلامي - بمذاهبه الأربعة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة دون غيرهم- على طريقة الفقه المقارن، مدللاً على مسائله بما في الكتاب والسنة وأقوال العلماء المجتهدين، لكن بإيجاز غير مخلٍّ، وبأسلوب لطيف مبسط؛ ليكون في بيت كل مسلم يعمل على إسقاط فرض التفقه في دينه.

قال الشيخ في مقدمة فقه العبادات: وبعد: فهذه سلسلة من الأحكام ميسرة من أحكام الفقه الإسلامي الرائع، تتناول العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، وهي مستنبطة من الكتاب والسنة، ومن أقوال أئمة أعلام الدِّين؛ من الأئمة المجتهدين- رضوان الله عليهم.

وقال في مقدمة فقه المعاملات: أما بعد: فهذا هو الكتاب الخامس، مـن سلسـلة " الفقه الشرعي الميسر" المؤلَّف لكافة المسلمين عامة، ممن يحرصـون على التفقـه في الدِّيـن، أخرجته بالأسلوب السهل الميسر، الذي لا يَصْعُب على الإنسان فهمه، مهما كانت ثقافتـه العلمية، ليبقى المسلم على بصيرة من أمر دينه، يفقه الأحكام، ويـدرك الحـلال والحـرام، مقروناً بالأدلة الساطعة، من الكتاب والسنة، وأقوال أئمة العلم من سـلف الأئمـة، مـن الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة المجتهـدين- رضـوان الله علـيهم أجمعـين -، وقـد تعمدتُ أن يكون جلَّ اعتمادي على ما ورد في الكتاب العزيز، والسنة النبوية المطهـرة، وبوجه خاصة ما أورده البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة..

٢٢- **المواريث في الشريعة الإسلامية**: هو خلاصة سنوات تدريسه لهذه المادة، حيث جمع محاضراته ونقحها وزاد عليها، ثم بسَّطها بأسلوب معاصر، وجعلها في كتاب واحـد؛ ليسهل على الطالب المبتدئ تعلمها، وعلى المتعلم تكرار مراجعتها.

٢٣- **شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول**: وفيـه رد شـيخنا المـترجَم على مـزاعم الحاقـدين مـن أعـداء الإسـلام بسـبب افـترائهم على سـيدنا محمَّـد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ بتشريعه تعـدد الزوجـات لأمتـه، ودحـض فريـة الشـهوانية للنـبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ ونحوها من الشبه التي يصطادون بها في مائهم العكر.

٢٤- **الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة**: وهي رسـالة فيهـا حَـضُّ الأهـل على تزويج أبنائهم باكراً، لما فيـه مـن الحصـانة والرزانـة علـيهم، وكـذا قبـل انخـراطهم في الشهوات وجعل المجتمع ذي فتنة وفساد عريض، وقد جاءت هذه الرسالة بعـد أن رأى شيخنا المترجَم من تجربته مع نفسه وأبنائه هذه الثمرات.[1]

كما تحدث فيها عن كيفية الزواج الإسلامي الصحيح؛ من خطبة ومهر وقِرانٍ

[1] تحدث عن هذه الرسالة في لقائه على قناة الدليل، ببرنامج عفو التجربة .

ونكاح وتكريم الإسلام للمرأة بالزواج... ونحوها، لتكون حجة وشاهدة على أهل العصر الذين خالفوا الهدي النبوي بحجة مواكبة العصر في حياتهم الزوجية.

٢٥- **حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن**: وهو من باب المشاركة في علوم الإعجاز القرآني، حيث صدر له هذا الكتاب بعد الوقوف على الحقائق العلمية والكونية التي أنكرها - بعد ردح من الزمن – بعض المستشرقين وغيرهم .

٢٦- **الهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح**: هي رسالة كتبها الشيخ في بيان صلاة التراويح ما اجتمع عليه المسلمون (سلفاً وخلفاً) فيها، والرد على أهل الجمود الفكري والركود العلمي؛ الذين ناهضوا أهل العلم الأثبات وخالفوهم في أمرها؛ تعصباً لآرائهم وآراء شيوخ العصر الذين يحبون الشهرة، ويزعمون أنهم أهل اجتهاد، ويؤججون العداوة بذلك والفرقة بين المسلمين.

٢٧- **السنة النبوية قسم من الوحي الإلهي المنزَّل**: كتاب ماتع نافع لمن أراد قهر سطوات الشك بوحي السنة بحسن اليقين فيها، مع التدليل عليها بأدلة قاصمة لظهور شبهات المشككين، من المستشرقين وممن انجرَّ خلفهم من أبناء المسلمين.

فكان بحقٍّ سيفاً مسلولاً في وجوههم، قال الشيخ في مقدمته واصفاً إياه: وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ - على صغر حجمه، وبساطة ألفاظه- يبدد ظلمات الشك والجهل، حول السنة النبوية المطهرة، ويدفع زيغ أولئك الزائغين الضالين، المفترين على الله ورسوله، بالحجة الناصعة، والبرهان الساطع... اهـ

٢٨- التبصير بما في كتاب التعالم من التزوير

٢٩- عقيدة أهل السنة في ميزان الشرع.

٣٠- رسالة الصلاة.

٣١- المهدي وأشراط الساعة.

٣٢- المقتطف من عيون الشعر.

٣٣- كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير.

٣٤- جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية.

٣٥- رسالة في حكم التصوير.

٣٦- موقف الشريعة الغرَّاء من نكاح المتعة.

أما تحقيقاته وعنايته بالكتب، فقد جاءت كالجواهر المزيِّنة لنحور كتب الكبار الكرام من العلماء السابقين، ومن هذه التحقيقات:

٣٧- معاني القرآن (للإمام النحاس): كان مفتتح تحقيقه العلمي بهذا الكتاب؛ الذي أعرض عنه الكثير من أهل التحقيق، وهو من مُهمات الكتب في التفسير وعلوم القرآن، هو كتاب الإمام النحاس، حيث عكف على تحقيق مخوطته الوحيدة، وأخرجه بحلة قشيبة أطاش عقول حاسديه بها، وكان نتاجه منه ستة مجلدات.

٣٨- المقتطف من عيون التفاسير (للمنصوري).

٣٩- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (للبروسوي).

٤٠- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (للأنصاري).. وغير هذه الكتب.

الكلام عن كتابه الشهير صفوة التفاسير:

إن مما مَنَّ الله به على شيخنا المترجَم ابتكار أسلوب ميسر مبسط في كتبه، وخاصة أنها تخاطب أهل العصر الذين غلب عليهم حب المختصرات والابتعاد عن المطولات وأمهات الكتب، بل صارت المطولات لا تقرأ إلا لدى كبار العلماء ونشطة المشايخ! فقام الشيخ المترجَم باصطفاء أوثق كتب التفسير وأهمها، فبلغت قرابة خمسة عشر تفسيراً، فجمع أقوال المفسرين، وانتخب تفسيره من أوثق تلكم الكتب كـ (الطبري

والكشاف والقرطبي والألوسي وابن كثير والبحر المحيط)، بالإضافة إلى الأقوال النافعة والفوائد المستجادة من غيرها (كما يجده القارئ فيها)، ثم اصطفى منها خلاصة التفسير الجامع بين المأثور والمعقول؛ بأسلوب ميسر، وتنظيم حديث، مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية.. فكان الكتاب تحفة لم يسبق إلى مثلها، والله إذا أعطى أدهش!

وبقي الشيخ يجمع مادته من تلكم الكتب خمس سنوات كاملات، يواصل فيهنَّ الليل بالنهار، مستعيناً بآراء العلماء الأثبات.. حتى كان الفراغ من تأليفه سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. وقد أسماه "صفوة التفاسير"؛ لأنه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار والترتيب والوضوح والبيان.

وقد سلك في تفسيره هذا منهجاً مميزاً؛ حيث يُقدِّم للسورة ببيانٍ إجماليٍ لها وتوضيح لمقاصدها الأساسية، ثم يذكر المناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة، ثم يتعرض للُّغة مع بيان الاشتقاق اللغوي والشواهد العربية، ثم يلي ذلك بيان أسباب النزول، ثم تفسير الآيات، ويختتم ببيان نواحي البلاغة في الآيات والفوائد واللطائف .

وهذا الأسلوب يساعد العلماء وطلاب العلم على فهم العبارات، واستنباط الأحكام ولطائف الإشارات..

وقد قام العديد من العلماء الكبار بتقريظ الكتاب عرفاناً بفضله وترغيباً لقراءته، وهم على الترتيب في التقريظ: الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية، العلَّامة المصلح الشيخ أبو الحسن الندوي، ومعالي الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، والشيخ عبد الله خياط إمام الحرم المكي الشريف، والعلامة المفَكِّر الشيخ محمَّد الغزالي.. وغيرهم.

وممن كان له الفضل في تمويل ونشر هذه الخلاصة التي كتبَ الله لها القَبول في

الأرض، صفوة تفاسير كتاب الله التي خطتها يراع كبار أئمة الدنيا: التاجر الصدوق، الرجل الصالح السيد حسن عباس الشربتلي –رحمه الله .

فقد جاء إلى الشيخ في يوم من الأيام معجباً بكتابه صفوة التفاسير أيما إعجاب، وكلمه عن طباعته على نفقته الخاصة، فقال: كم تريد ثمن النسخة الواحدة حتى أطبعها؟

فأجابه الشيخ: هل تريد بطباعتك هذه التجارة ؟ فقال: لا إنما أريد توزيعه لوجه الله تعالى، فقال له الشيخ الصابوني: إذاً أنت بمالك وأنا بقلمي، وأجرنا على الله. فقاما عن هذا الاتفاق وبدأ العمل، وطبعت على نفقته – رحمه الله – خمسمائة ألف نسخة من كتاب صفوة التفاسير، وخمسمائة ألف نسخة من كتاب مختصر تفسير ابن كثير، بمبلغ إجماله: أربعين مليون ريال سعودي، ثم وزعتْ في أنحاء العالم الإسلامي.

لطيفة: حدثنا شيخنا محمَّد علي الصابوني قائلاً: تجاوزت مؤلفاتي الخمسين مؤلَّفاً، كلها كتبتها بيديَّ (مُسوَّدات) وقد تجاوزت ثلاثين ألف صحيفة[١]، ولم أستعن بآلة للكتابة أو النسخ إلا بعد أن انتهيتُ منها، ثمَّ عقَّبَ ولده - الأستاذ أنس- قائلاً: حتى الآيات والأحاديث يكتبها كاملة بيده، وعند الطباعة تنسخ من مصادرها[٢]، فبذلك يكون فضيلته قد خطَّ القرآن مراراً.

١() يقول ولده الأستاذ أحمد معلقاً على نقلي هذا: ما أعلمه من كتابات والدي أنها تزيد عن أربعين ألف صحيفة، بخط يده الجميل.

٢() كانت هذه حال زيارتي له مع ثلة من طلاب العلم –على رأسهم شيخنا العَالِم الصالح بلال عبده الخطيب الدمشقي- في منزله بمدينة يلوفا (Yalova) التركية صيف سنة ١٤٣٦هـ، وكان سبب هذا الحديث، أني طلبتُ من شيخنا الصابوني الإمضاء على إجازة المشايخ الحاضرين، فأمضى بيده واحدة، أما الثانية؛ فأتمها بمشقّة، ثم بكى بدموع ملؤها الإيمان والصبر، وقال متذكراً همته في الكتابة والتأليف: تجاوزت مؤلفاتي الخمسين...

ملحوظة: أخبرني الأستاذ أحمد (ابن شيخنا) أنه كان في بيتهم - بحلب - مكتبة ضَمَّت كتبًا نفيسة عليها تعليقات وحواشٍ بقلم والده، كما كان في البيت صناديق فيها الكثير من الوثائق المهمة، كمخطوطاتٍ لبعض أعماله العلمية وإجازاته ونحوها،[1] كلها بقيت في البيت، على أمل العودة من السعودية والاستقرار في حلب؛ لأنه كان يعتبر بقاءه فيها مؤقتًا. ثم قال: وفي إحدى زياراتي (القليلة) إلى حلب وبيتنا خاصة، فتحتُ بعض هذه الصناديق، فوجدتُ كتابات للشيخ وأبحاث، فحملتُ منها ما استطعتُ، وكان من ضمن هذا المحمول: دراسة على تفسير البيضاوي بشكل أجزاء صغيرة.

وفي سنة ٢٠١١م وما بعدها، اغتصب النظام السوري بيت الشيخ وسكنوه، وجعلوا من كتبه ووثائقه ومخطوطاته وأثاث البيت وقودًا يتدفؤون بها؛ انتقامًا منه وجوابًا على موقفه الصادع بالحق أمام الاستبداد والطغيان! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

لقب خادم الكتاب والسنَّة :

خدمة القرآن الكريم من التشريف النبوي لأهل القرآن، ولحامليه خاصة، أما من يعلِّمه؛ فهو من خيار هؤلاء الأشراف، ففي الحديث الصحيح « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

ومن خدم الحديث الشريف بصدقٍ يكون من أولياء هذه الأمة؛ إذ جمع النضارة والتبليغ، فحاز شرف خدمة الوحيين (كتاب الله وسنة نبيه) .

وشيخنا – حفظه الله – خَدَمَ الوَحيَين وعُني بهما تفسيراً وشرحاً بأسلوبٍ اشتهر بهما؛ من البساطة والتيسير مع غزارة العلم والتحقيق، لذا أحب أن ينادى ويلقَّب بخادم الكتاب والسنة.

[1] بيت الشيخ لم يكن يسكنه أحد، إنما كان للعائلة ينزلون فيه عند زيارتهم إلى حلب.

إمامة المسجد الحرام :

إن إمامة السجد الحرام شرف كبـير؛ لأنـه لا يقـام في هـذا المقـام إلا مـن شرف بالقرآن والفقه والحديث.. وكان شيخنا من أولئك الذين تشرفوا بخدمة إمامـة النـاس في الحرم المكي غير مرَّة، وذلك في حالات خاصة:

- تأخر الإمام الراتب؛ إذ صلى مرة إماماً بالناس في صلاة الفجر.
- غياب الإمام الراتب، وذلك حين صلَّى بالناس إماماً بعشر ركعات في التراويح.

وقصة التراويح هذه كما رواها المترجَم عن نفسه[1]، قائلاً: في آخر يـوم مـن شـعبان سنة ١٣٨٥هـ، وبعد صلاة العشاء جلس الشيخ عبـد الله الخلـيفي ينتظـر خـبر إثبـات رمضان، لكن لم يأتِ الخبر، فجلس قرابة نصف ساعة بعد الصـلاة ولـم يـأتِ الخـبر، فانصرف إلى بيته، وبعد نحو ساعة ونصف جاء خـبر إثبـات هـلال رمضـان، فأقيمـت الصلاة، ولم يجدوا غيري، فصليتُ بالناس عشر ركعات، وجاء الإمام وتمم الباقي. اهـ

هذه الأشياء كلها أسباب ليُكتب اسمه بين أئمة الحـرم المـكي في يـوم مـن الأيـام، فيُرفع قدْره ويعلو شأنه، فما أرفعه من قدْر وأعلاه من شأن!

وقد جمع بعض المعاصرين كتباً في خصائص الحرم المكي وذكروا فيها باباً أو فصـلاً فيمن صار إماماً في المسجد الحرام، وكان اسم الشيخ محمَّـد علي الصـابوني بيـنهم، وممـن كتب في ذلك:

- الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام المسجد الحرام، وتلميذ الشيخ الصابوني، في كتابه (تاريخ أمّة في سير أئمة) .
- الشيخ عبد الله بن أحمد آل علَّاف الغامدي في كتابيه: (أئمة المسجد الحرام

---

[1] في لقاء برنامج عفو التجربة .

ومؤذنوه في العهد السعودي)، (أئمة الحرمين).

- الشيخ يوسف بن محمَّد بن داخل الصبحي، في كتابه: (وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم).

كما كان لشيخنا المكان المخصص الذي يقف فيه خلف إمام الحرم المكي بشكل دائم، كي يعين الإمام إذا طرأ عليه طارئ، بالإضافة لكرسي التدريس المخصص له في أروقة الحرم.

نشاطه الدعوي:

للشيخ نشاط في الدعوة مشهود، جعل منه شخصاً محبوباً لدى المظلومين والفقراء أكثر من غيرهم من الظلمة والطغاة، وكم هدى الله بنصحه أناساً ضلوا، وأرشد بهديه إخواناً تاهوا، ومنها:

لمَّا سمع بانتشار مذهب الرافضة في أكبر البلاد الإسلامية في شرق آسيا كماليزيا وإندونيسيا.. ذهب ناصحاً لهم (حكومةً وشعباً)، وبقي هنالك أشهراً محذراً من هؤلاء الشياطين، مبشراً بسماحة الإسلام ومشوِّقاً لمذهب أهل السنَّة.. فكتب الله لكلماته القَبول، ورجع الناس إلى مذهب أهل السنَّة والجماعة بمئات الألوف، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

كما كان له مجلس يومي في المسجد الحرام أمام الكعبة المشرَّفة بين الركنين (الأسود واليماني)، فكان الشيخ لا ينقطع عن هذا المجلس طيلة فترة بقاءه بمكة المكرّمة، وكان يراجع فيه القرآن الكريم مع حفظة كتاب الله تعالى، أمثال: تلميذه الشيخ الدكتور محمَّد طاهر نور ولي.

فقد كان ورده اليومي جزأين من كتاب الله يقرأهما على الحفظة، وفي نفس المجلس - أيضاً - كان الشيخ يجلس للفتوى، فيجيب المستفتين عن المسائل الشرعية،

ويستقبل ضيوفه فيه.. فكان مجلسه مجلس علم وذكر.

وهذا المكان يعرفه جميع محبيه، فيزورونه ويجالسونه ويقرأون عليه ما شاءوا من كتب العلم بالسند المتصل، وكان مجلسه هذا يبدأ - يومياً- من قبل صلاة المغرب حتى بعد صلاة العشاء، ثم من قبل صلاة الفجر وحتى الشروق .

وللشيخ اهتمام خاص بالشباب، فهو يَعُدُّ نفسه بينهم أخ ناصح أو أب مربٍّ مرشد، لذا تجده يشاركهم الكثير من نشاطاتهم بغية توجيههم وتربيتهم، وقد اشتهر بذلك كثيراً في فترة تدريسه في الجامعة .

ومرة اتصلتُ به وكلمته بأني كتبت ورقة لنلحقها في ثبته، وهي: إجازة عامة لأولاده وأحفاده وأسباطه وأبناء إخوته وأخواته، وطلابه الذين درسهم في الجامعة.. فوافق وقرأتها عليه وقلت محمَّد أيوب، فقال اكتب الشيخ! فتمنعتُ، فقال اكتب الشيخ! فكتبت ما أمر، ولمَّا وصلتُ إلى اسم الشيخ أنس وقلتُ الشيخ أنس، فقال احذف كلمة شيخ واتركها أنس! فقلت سيدي ولدكم شيخ مبارك فقال اكتب خادمه، فكتبتُ ما أمر به.

مجهودات الشيخ المرئية والمسموعة (التفاز والإذاعة):

أكرم الله الكريم شيخنا بهمة في نشر العلم عبر البث المسموع والمرئي، فكانت له حلقات إذاعية عبر أثير إذاعة صوت القرآن الكريم من مكة، فسر فيها القرآن الكريم كاملاً . وكانت في أسبوع لمرة أو اثنين.

كما كان له جهد عظيم جداً في تفسير كامل كتاب الله عز وجل صوتاً وصورة سجلتْ له خلال شهرين، وكان حفظه الله يسجل منها يومياً ما لا يقل عن عشر حلقات أو تزيد، حتى اكتمل التسجيل كاملاً في ستمائة حلقة في هذه المدة، وكانت مدة كل حلقة نصف ساعة. ولمَّا انتهى من عمله هذا،جلس على فراش المرض قرابة ثلاثة أشهر .

كما كانت له لقاءات ومحاضرات خاصة في بعض القنوات الإعلامية، وقنوات اليوتيوب، فكان منها الشرعي ومنها التربوي، ومنها ما يخص الانتصار للشعب السوري في محنته الأخيرة...، كالشريعة والحياة في قناة الجزيرة، وفي قناة إقرأ، وعفو التجربة في قناة الدليل ...

تكريمه كشخصية إسلامية :

بعد جهوده التي امتدت مابين دعوة وتدريس وتأليف وإصلاح ونصح.. رأى كبار أهل الفضل أن تجازى هكذا شخصية بتكريم يعبرون به عن حبهم وشكرهم لمن أسدى للمسلمين خيراً؛ ابتغاء وجه الله تعالى، فما كان منهم إلا أن جعلوا له ليالٍ تسير بأثرها الركبان، وتلهج بخبرها ألسنة الإنس والجان، فكان منها:

- **منتدى الإثنينية**[1]: فقد تم اختيار الشيخ محمَّد علي الصابوني ليكون شخصية هذا المنتدى، فحضره العلماء والأدباء والشعراء والمفكرون والصحفيون وشهدوا تكريمه بتاريخ: ربيع الآخر ١٤١٠هـ/ نوفمبر ١٩٨٩م .

وقد تضمن الحفل كلمات لكبار العلماء والوجهاء وأصحاب الفضل.. تلهج بشكر لسان وبنان هذا العالم المحتفى به.

وقد صدر عن الإثنينية كتاب مطبوع لحفل تكريم الشيخ الصابوني تضمن كلمات كبار العلماء والأدباء والوجهاء في المملكة العربية السعودية، وكان من بينهم معالي وزير الإعلام الشيخ الدكتور محمَّد عبده يماني، وعالم مكّة الأستاذ الدكتور أحمد

---

[1] منتدى الاثنينية: وهو منتدى أدبي علمي رفيع، يقام كل يوم اثنين في دار مؤسسه الوجيه الأستاذ عبد المقصود خوجة في جدة، وهو من أشهر المنتديات العلمية والأدبية بالمملكة العربية السعودية، حيث يحضره العلماء ورجال الفكر والأدب والصحافة، فيكرم فيه العلماء والأدباء الذين لهم أثر في المجتمع، وهذا التكريم يشمل كل أصحاب الفكر وأهل العلم .

محمَّد جمال، ومعالي الدكتور الحبيب ابن الخوجة الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي العالمي، كما ألقى عالم العربية الشيخ أبي تراب الظاهري أرجوزة كان مطلعها :

تحيـة تُهـدى إلى الصـابوني العالمُ النِحرير ذي التبيين

مفسرـ الكتـاب بالآثـار وثاقب الفهم لدى الأخيار

- كما اختارته اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم " شخصـية العـام الإسلامية " في الدورة الحادية عشرـة لعـام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م عرفانـاً بجهـوده المتواصـلة في الإنتاج الفكري المثمر، خاصة في مجـال خدمـة وتفسـير القـرآن الكـريم، مـن خـلال مؤلفاته التي كان من أهمِّها كتابه الشهير " صفوة التفاسير " و " من كنـوز السـنة " و " روائع البيان في آيات الأحكام " .

وقد اختاروه بعد انطباق معايير الاختيار الـتي وضـعت مـن قبـل لجنـة الجـائزة، باعتباره عالماً متميزاً في شتى العلوم الشرعية وعلوم القـرآن الكـريم خاصـة، ومؤلفاتـه الموسوعية التي زادت على خمسين مؤلفاً، وجميعها تُعـدُّ مـن المراجـع الهامـة لـكل دارس وطالب علم، ولكل باحث ومثقف .

وهذه الجائزة لا تعطى إلا لمن كان صاحب شخصية قوية منتجة مـؤثرة، وكان مـن بين أشهر من حصلوا على هذه الجائزة: العلامة المفسر الشيخ محمَّـد متـولي الشـعراوي، والعلّامة المحدّث الشيخ أبو الحسن الندوي، والعلامة الشيخ محمَّـد الغـزالي، والعلّامـة الشيخ يوسف القرضاوي، وفخامة الـرئيس البوسـني علي عـزّت بيجـوفيتش ، ورئـيس دولة الإمارات العربية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيـان.. وغـيرهم ممـن قَـدَّم خـدمات جليلة للعالم الإسلامي .

جرأة الشيخ في قول الحق :

طاف الشيخ البلاد ناصحاً الرؤساء و ولاة الأمور أن يستوصوا بالمسلمين خيراً،

وربما بعث بالرسائل المكتوبة أو المتلفزة لمن لا يستطيع الاجتماع بهم.

وقد اشتهرت عنه جرأته في قول كلمة الحقّ، فهو لا يتورع عن النصح والتوجيه، مهما علا شأن مخاطَبِه، وقد لاقى لأجل ذلك الكثير من المتاعب، فحُرم من دخول بلده (سوريا) لمدّة قاربت الأربعين عاماً.

- **مع وزير التربية**: ذهب وفد من أهل العِلم- من مدينة حلب - إلى وزير التربية في دمشق، وكان أصغر الوفد شيخنا المترجَم (إذ كان عمره آنذاك ثمانية عشر سنة)، وتحدَّث الوفد عن خلل في التعليم خالف دينهم وأرَّقهم، راجين من الوزير أن ينظر في هذا الأمر بعين الإصلاح، إلا أن الوزير هذا لم يعجبه ذلك، فأغلظ عليهم القول وهمَّ بطردهم من مكتبه، فانبرى له الشيخ الصابوني مواجهاً ومعنفاً، قائلاً له: نحن لم نأتِ لك راجين، بل جئناك مُبَلغين، ولن نرضى أن نخرج من هنا إلا بقرار نافذٍ منك ينهي هذه القضية!

فأخذتْ كلمات الشيخ الصابوني ترعد الوزير، فأمر بإنهاء هذه القضية كما يرجوه وفد العلماء . وهنا وصل الخبر إلى أديب العلماء وعالم الأدباء الشيخ علي الطنطاوي، فضحك رحمه الله وقال: (ما قلتُلكم كل علي بيلعبط!)، يقصد أن كل عليٍّ يعرف فنَّ المحاجة ولو بالجرأة[1].

- **في مؤتمر علماء الأمة في حرب الخليج**: بعد حرب الكويت وعودة أهلها إليها.. دُعي الشيخ الصابوني إلى مؤتمر علماء الأمة المنعقد في الكويت، واجتمع العلماء من كل أقطار العالم الإسلامي ثلاثة أيام، يتحدثون فيها عن الغزو وعن التحرير، وأراد الشيخ الصابوني أن يكون لكلمة الحق راية ترتفع في سماء هذا المؤتمر، فطلب كلمة في

[1] هذه نقلها جملة من الناس عن لسان الشيخ الصابوني، منهم صهره الدكتور صالح رضا.

اليوم الأول والثاني حتى اليوم الثالث.. إلا أن رئيس الجلسة منظم المؤتمر يَعرف جرأة الشيخ في الحق، فماطل وماطل.. حتى أرسل له الشيخ الصابوني ورقة شديدة اللهجة، فما كان منه إلا أنْ خَتَم المؤتمر بقوله: ونختم مؤتمرنا هذا بدعوات مباركات من فضيلة الشيخ محمَّد علي الصابوني.. محدداً له بذلك كلمته! فوقف الشيخ الصابوني على المنصة ونظر إلى رئيس المؤتمر نظرة حادة، وقال له: قبل الدعاء هناك نداء، نداء من القلب إلى القلب، نداء إلى العلماء والأدباء أن يتقوا الله في هذه الأمة. من صنع الطواغيت؟! من جرأهم؟! نحن الذين صنعناهم!! يا علماء الأمة يا ملح البلد: ما يصلح الملح إذا الملح فسد ؟!

يا علماء الأمة: اتقوا الله، وكفوا عن مسايرة الحكام، واعلموا أن الحكم لله، وأن الطاعة لأولي الأمر؛ وأولوا الأمر هم علماء الأمة! ولا طاعة لحاكم خالف حكم الله ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ.. ﴾ الآية، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

وهنا انقطع البث المباشر عن التفاز، ولكن الشيخ استمر في قول الحق غير هيَّابٍ ولا مداهنٍ، لايخاف في الله لومة لائمٍ.. حتى ختم كلامه بقوله: أما الدعاء؛ فسأدعوا لكم بدعاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ففي الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: " إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ

اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا- أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ". رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢١٥) .

وبعد انتهاء الشيخ من كلمته؛ قام المؤتمرون وقبلوا رأس الشيخ، وقال بعضهم: لقد تكلمت بكلامنا الذي لم نستطع أن نتكلم به، فجزاك الله عنا خير الجزاء.

قصة لقائه بالرئيس الإندونيسي: سافر الشيخ الصابوني إلى إندونيسيا، بعد أن أخبره طلابه فيها بأن التشيع ينتشر فيها انتشار النار في الهشيم؛ باسم محبة أهل البيت.. وكان استقباله فيها استقبالاً رسمياً؛ لمكانة الشيخ عند أهلها من طلبة العلم.

انتشرت صور الشيخ في شوارع المدن وقراها، وأصبح تجواله فيها كتجوال الملوك بمواكبهم، حيث كان يتنقل من مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى قرية، لمدة شهر كامل.. قضاها في دحض افتراءات الرافضة في تشييع أهل السنة، وخلال تواجد الشيخ في هذه البلاد.. أبلغ أن الرئيس الإندونيسي يدعوه للزيارة في القصر، فوافق الشيخ وما مانع، إلا أن مبلغيه الدعوة طلبوا من الشيخ الصابوني أن لا يتحدَّث مع الرئيس في شأن الشيعة والتشيع؛ لوجود الصحافة والإعلام واستياء السفارة الإيرانية من نشاط الشيخ في إندونيسيا وتحذيراته من الشيعة، فرفض الشيخ ذلك وقال: لم آتِ لأسلِّم عليه، أو أطلب منه حاجة، وإنما جئتُ مبلغاً رسالاتِ ربي! ولن أقابله إلا في شأن الشيعة والتشيع وفي نظام الأسد المجرم!

ومع رفض الشيخ وإصراره على قول الحق.. تمت المقابلة وأدى الشيخ رسالته بالتحذير من التشيع، ولم يخرج من عند الرئيس إلا وقرار قطع العلاقات مع النظام السوري أخذ حيِّز التنفيذ، ونشرت الصحف هذا الخبر على صفحاتها الأولى صباح اليوم الثاني... والحمد لله ربِّ العالمين.

حالة الشيخ:

للشيخ حالة ركون إلى الخلوة، فقد يبقى منفرداً لساعات طوال مع الكتب، فتجد الشيخ غارقاً في بحار العلوم والذِّكر، ملتقطاً درر الفوائد وغرر الفرائد، وربما يتضايق من تحريك كتبه أو إغلاقها أو قطع خلوته مع ربه، وخاصة إن كان في مكتبه، أوأراد أهل بيته ترتيب المكتب.

وقد لازم الشيخ مكة المكرمة أكثر من خمس وخمسين سنة، قضاها في خدمة الناس، وحج خلالها قرابة خمسين حجة، فهو حلبي مكي.

ثم بعد مرضه في عام ١٤٣٨هـ كثر تردده إلى تركيا طلباً للراحة والنقاهة، بخلاف عادته السنوية التي بدأت منذ عام ١٩٧٩م، إذ يزور فيها أصدقاءه الكرام، والذين هم كبار العلماء مشاهيرهم، أمثال: العلامة العارف المُعمَّر الشيخ محمود أسطه عثمان أوغلو الشهير بـ (الشيخ محمود أفندي)، وكذلك العلَّامة المعمَّر الشيخ محمَّد أمين سراج، صاحب الدروس العلمية في جامع الفاتح (وزميل دراستة في الأزهر الشريف).. وغيرهم من كبار علماء تركيا .

ولكثرت تردده إلى تركيا اشتهر الحي الذي سكنه في منطقة ترمال باسمه، وهو بجوار جامع الأنصار الذي تشرَّف ببنائه مع صديقه معالي فضيلة الشيخ محمَّد محمود الصواف رحمه الله (مستشار الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله للشئون الإسلاميّة).

وفي سنة ١٤٤٠هـ انتقل كلياً إلى تركيا واستقرَّ في مدينة يلوا التركية، فصار مقصد العلماء والشيوخ والطلاب فيها، بل لكل محب يرجوا النظر في وجه من شرَّفه الله بخدمة كتابه وسنة نبيه ويطلب دعواته .

حتى إن كبار رجال الدولة التركية يأتون طلباً للبركة والدعوات الصالحات، وكلهم

في شوق ومحبة لهذا العَلَم الشهير.

ناهيك عن علماء الآفاق وطلابهم، حيث يأتون طلباً للقـراءة اللطيفـة والسـماع عليه، أو لنيل إجازته العلية أقلها، والتي تفرد بمثلها اليوم؛ إذ لا يوجد على وجه المعمورة من اجتمع له إجازة من كبار علماء حلـب سـواه، كالشـيخ محمَّـد نجيـب سراج الدِّيـن ومحمَّد راغب الطبَّاخ ومحمَّد سعيد إدلبي ومحمَّد نجيب خياطة، ومحمَّد أسـعد العبـه جي وأحمد الشماع.. وبفقده ينزل الإسناد درجة - بارك الله في عمره في عافية .

اليوم هو في الحادي والتسعين من عمره وهو ممتَّع بعقلـه ونظـره وعافيتـه، وقبيـل سنين قلائل ترك حضور المؤتمرات والمحافل الدولية والمجـالس الفقهيـة، ناهيـك عـن الندوات والمحاضرات في الدول التي يسافر إليها بنية الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولازالت بعض المحافل العلمية تدعوه بغية التبرك به، وكان آخرهـا: **مجلـس خـتم** صحيح الإمام البخاري في اِسطنبول، والذي نظَّمته رابطة أئمـة وخطبـاء ودعاة العـراق، بالتعاون مع دار الحديث في مدرسة سنان باشا وغيرهما من الداعمين.

كان هذا المجلس فريداً من نوعه، حيث حضره قرابة ألفي طالب علم وطالبة مـن دول متعددة قاربت الأربعين، وفي نهاية القراءة والإجازة من الشيوخ المسمعين.. رغبت إدارة المجلس من الشيخ الصابوني إجازة الحضور والسامعين، فأجازهم خاصة بصـحيح الإمام البخاري وبعامة ما يجوز له عن شيوخه بشروطه الخاصة.

ومما يُلْطَفُ قوله: في هذه السنوات الأربع الأخـيرة ظهـور إشـاعات تقـول بوفاتـه، فكلما أشاع بعض المغرضين عنه الوفاة كذبهم الله بالفسح في عمره !

حتى قال له بعض أهله وأبلغوه بذلك، فقال لهم ممازحاً: وما ضركم من ترحم الناس علي! أليس الحي بحاجة إلى الرحمة مثل الميت؟ اتركوهم فأنا محتاجٌ لرحمة الله .

قلتُ: الحقيقة أن للبركة في العمر أسباب، ومنها أن يكون من أهل الحديث، وهذه المزيَّة من خصائص المحدثين[1].

حالته مع إخوانه العلماء:

اشتهر عن المترجَم التواضع والإختلاط مع الناس، وحتى كان يقاسمهم بعض أوقاتهم جبراً لقلوبهم وتنشيطاً لهممهم وتوجيهاً لأفكارهم، لاسيما الشباب وطلاب العلم منهم، أما عامة الناس؛ فقد كان يزورهم في البيوت إيصالاً للرحم وإكراماً ومواساة لهم، وخاصة الفقراء منهم .

ولكن للشيخ حال غير هذا مع العلماء الربانيين، فهو أشد أدباً وأكثر انتباهاً، وهذا استمر حتى بعد أن بلغ في العمر التعمير، وكأنه مازال طالب علم بين يديهم (مهما علا شأنهم أو نزل)! وهنا تحضرني ثلاث حالات مرت به - سلمه الله-، وهي:

- **الحالة الأولى**: حدثني ولده وخادمه الأستاذ أنس- سلمه الله- أنه كان يشاهد أباه يحضر- بالتلفاز - بعض دروس شيخ الدعاة العلامة المفسِّر الشيخ محمَّد متولي الشعراوي، وكان ينتظرها على أحر من الجمر، فإذا بدأت الحلقة؛ نزل من كرسيه إلى الأرض وجلس جلسة طالب العلم المتَخشِّع متربعاً، ومن كان يتكلم من أهل البيت كان يشير له: أن اسكت! وبقيت أراه هكذا أياماً، ومرة سألته متجرأً (وأنا ابن عشر سنين) قائلاً: يا أبتي لم إنت جالس على الأرض والكراسي بجانبك؟ اجلس معنا على الكراسي، هو برنامج تلفزيوني وهو مفسر وإنت مفسر!

---

[1] قال الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي:

أهلُ الحديث طويلةٌ أَعْمَارُهُمْ ووجوهُهُمْ بِدُعَا النّبِيّ مُنَضّرة

وسمعت من بعض المشايخ أنّهم أَرْزَاقُهُمْ أيضاً به مُتَكَثِّرة

فتبسم الشيخ وقال: أن اخفض صوتك واجلس..، ولمَّا انتهت الحلقة، أعدتُ عليه السؤال، فأجابني قائلاً: يا ابني هذا علم أعطاني الله إياه تلقياً، أما الشيخ الشعراوي؛ فقد أعطاه الله العلم إلهاماً .

- **الحالة الثانية**: شاهدتُ مقطعاً قصيراً لفيديو نشره الأستاذ أنس، لمَّا كان الشيخ في زيارة صهرة الدكتور الشيخ محمَّد بشير حداد[1] يتعالج، فزاره العلامة المقرئ الدكتور الشيخ أيمن رشيدي سويد الدمشقي في حزيران من العام ٢٠١٥م، وفي المقطع: عند انتهاء الشيخ أيمن سويد من زيارته وقيامه للخروج من عند الشيخ وسلام الوداع: أمسك

[1] الدكتور الشيخ محمَّد بشير بن محمَّد عبدالمحسن بن محمَّد بشير حداد، سليل الأفاضل والعلماء الأكابر، الصهر السادس لشيخنا الصابوني والقائم بأعماله؛ إذ هو من أقرب أصهرته إليه؛ لاهتمامه البالغ بعائلة الشيخ (كبيرهم وصغيرهم). ولد في حلب عام ١٩٥٩م، ودرس الابتدائية والإعدادية والثانوية فيها، ثم انتقل لإتمام الدراسة في جامعة أم القرى في مكة المكرَّمة، وتخرج بها حاملاً شهادة الليسانس عام ١٤٠٥هـ، ثم انتقل إتمام الماجستير فيها، فتخرج بها حاملاً شهادتها عام ١٤١٠هـ(في التربية الإسلامية والمقارنة)، بعدها سافر إلى الأزهر الشريف في مصر لإتمام دراسته، فدرس في جامعة عين شمس مرحلة الدكتوراه، وتخرج بها بتفوق عام ١٩٩٦م، ثم رجع إلى المملكة للعمل مدرِّساً في جامعة الملك عبد العزيز، ثم عمل في المجمع الفقهي الإسلامي، كمدير للعلاقات العامة، ثم مدير المؤتمرات والندوات.. ولا يزال فيه حتى يومنا هذا.
قدَّم عدة برامج في قناة إقرأ الإسلامية، كان أهمها: برنامج كيف نقرأ القرآن؛ محاوراً فيه الدكتور الشيخ أيمن رشدي سويد، وامتد هذا البرنامج أكثر من عشر سنوات، قدموا فيها ٣٢٢ حلقة . كما أعدَّ وقدَّم برامج كثيرة في التلفاز، وكلها برامج إسلامية، كبرنامج لقاء مع العلماء، وفي رحاب مكة، وفي رحاب رمضان، وبرامج موسم الحج...وغيرها. وله عدة كتب مؤلفة، ومنها: الدعوة الإصلاح مناهج وأساليب، التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس الجامعي. وله مقالات منشورة في شبكة التواصل الاجتماعي.
له إجازات من كبار العلماء، أمثال: الشيخ محمَّد حسنين مخلوف، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ عبد الفتاح أبي غدة، والشيخ عبد القار السقاف، والشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، وأخيه الشيخ = =عبد العزيز، والسيد محمَّد بن علوي المالكي، والشيخ محمَّد ياسين الفاداني، والشيخ محمَّد علي الصابوني، كما أجيز من والده الشيخ عبد المحسن.

الشيخ أيمن بكلتا يدي الشيخ الصابوني بطريقة محكمة (المصافحة)، وانحنى إلى يدي الشيخ وقبلهما بكل أدب ومحبة، فتفاجأ الشيخ الصابوني وماستطاع سحبهما، فقال للشيخ أيمن: أنتم أهل القرآن تُقَبَّل أيديكم.

فضحك الشيخ أيمن بحياء وقال: استغفر الله يا سيدي، نحن نتعلق بأذيالكم..

- الحالة الثالثة: كانت في نهاية العام ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، وهي زيارة الدكتور محمَّد راتب النابلسي الدمشقي ومستشار الرئاسة التركية، وغيرهما من المشايخ والعلماء.

فكان الشيخ النابلسي في تلكم الزيارة فرحاً بوصوله إليه، وتكلم بانشراح صدر وسرور.. وعند الانصراف والوداع، همَّ كلا الشيخان أن يُقبِّل يد الآخر، وكانت الغلبة للشيخ النابلسي؛ حيث قبلها تقبيل المجلِّ لأهل العلم.

أمر انتقاله من مكة إلى تركيا:

وبعد أكثر من خمسين عاماً قضاها جاراً لله تعالى (في مكة المكرَّمة)، وقبيل هجرة الشيخ من مكة إلى تركيا رأى الشيخ فيما يرى النائم أنه في بيته بمكة، فنظر من النافذة فرأى الخضراء تكسو مكة المكرَّمة، فلم يصدق ما رأه من خضار، فقال أخرج وأرى من الخارج.. فلما خرج أغلق باب البيت، ولم يستطع فتح الباب والعودة إليه، فتوجه شطر الكعبة ماشياً، فلما وصل الكعبة دخلها، فضربت أكتافه بثمار تدلَّت من سقف الكعبة، فقطف بيديه ثلاثة رمانات، وحملها وخرج الشيخ من مكة .

وفي هذه الرؤيا إشاراتٌ تحققت للشيخ، وعلامات بَشَّرت بالخير له، بعدما عَبَّرها وأوَّلها له تلميذه الشيخ محمَّد نور الرهوان.

إجازة الرواية لطلاب العلم والعلماء:

لمَّا كان الشيخ ممن تفرَّد بالرواية عن كبار علماء حلب والحجاز (مجتمعين)؛ كثر عليه طلب الإجازة، كان من عادته فيها: الإجازة بالمشافهة لا المكتوبة، وندر أن يكتب لمستجيز بخط يده.

لكن من نحو خمس سنوات وجدتُ أنه لا بد من إيصال الإجازة لأكبر عدد من طلاب العلم؛ إذ الشيخ أحد الكنوز المدخرة (علماً وصلاحاً وإسناداً)، فهو بحق مفخرة في عصرنا، فطبعتُ إجازة ذكرتُ فيها أبرز من أجازه من العلماء، ثم زرته في مدينة يلوفا وقرأتُ عليه من العجلونية، واستجزته لمن حضر خاصة ولبعض الإخوة المشايخ عامة، فأجاز، وأخرجتُ الإجازة وطلبتُ منه التوقيع فيها، فوقعها مع صعوبة حمل القلم، ثم رأيت تعميم الفائدة، فطلبتُ منه الإجازة لجميع المسلمين ممن تأهَّلوا لها، فأجاز ووكلني أن أجيز عنه أصالة - بدون طلب مني- لمن رأيتُ فيه الأهلية، فاستأذنته بكتابة الاسم فيها لمن رغب من طلاب العلم، فوافق ولله الحمد، فأعطيتها لعشرات الناس من طلاب العلم والمشايخ.

ثم تحركت الهمة لجمع ترجمة له ولشيوخه وأسانيد كلٍّ في ثبت لطيف، كان ذلك بعد الزيارة بنحو سنتين، جعلت فيهن البحث عن تفاصيل ترجمته وإجازاته على قدم وساق، فحصل الكثير الطيب في ورقات قارب المائة والثلاثين، ألحقتُ في آخرهنَّ وثائق بخطه وخط طالبه الدكتور الشيخ يحي الغوثاني، ونماذج لبعض إجازاته المطبوعة.

وفي عام ١٤٣٨ كثرت طلاب إجازته بصورة كبيرة جداً، فكلمتُ أهل بيت الشيخ لفتح الباب لهم وعقد المجالس على الشيخ، فرحبوا بالفكرة وأكرمونا أيما إكرام، فقاموا بخدمة الباحثين، وطبعوا له إجازة – بالتنسيق مع كاتب هذه السطور- لمن يزورهم مستجيزاً، ولمن يراسلهم مكاتبة، فصدرت من مكتب الشيخ بمكة عشرات الإجازات،

وبنموذج واحد ورقم صادر، ومهورة بخاتم الشيخ القديم.

ولمَّا وفد الشيخ إلى تركيا، تحرك طلاب العلم والعلماء إلى زيارته وطلب الإجازة منه، بالإضافة إلى بعض المجالس اللطيفة التي كانت تعقد عليه عبر الهاتف - بمساعي أهل بيته -، والمراسلات التي تتودد إليهم في طلب الاتصال بسلاسل الشيخ العلية، للرواية عن خير البرية.. فقام أهل بيت الشيخ بإنشاء مكتب للشيخ في تركيا؛ لتسيير أمور الوثائق الصارة عن الشيخ، بإضافة إلى ترتيب الزيارات لضيوفه، والعمل على خدمة مؤلفاته.. فكان الدور الأكبر في مكتبه للإجازات، فشُكِّلتْ لجنة خاصة بها.

لكن أصبح الكثير ممن يطلب ممن يطعن بالشيخ وشيوخه! فأخبرتْ تلك اللجنة الشيخ المترجَم واستشارته في شأنهم، فأصدر الشيخ بياناً ذكر فيه شروطه في الإجازة، وكان صدوره بشكل رسمي من مكتبه، وتحت إشراف لجنة الإجازات، فلاقى هذا البيان قَبولاً واسعاً عند كبار العلماء ومحققيهم؛ لأنه جاء على منهج أهل الشام، الذين لا يجيزون طعَّاناً أو مكفِّراً ونحوهما، إنما يشترطون الصلاح والأهلية في المجاز! ثم أُلحق هذا الشرط في إجازته ليكون المستجيز على بينة من أمره.

وكان نصُّ إجازته مع شروطه: (أجيزه هذه الإجازة ليتصل بسند سادتي ومشايخي سندُه، ولا ينفصل عن مَدَدِ علمِهِم مَدَدُه، إجازة (رواية فقط) في ما يجوز لي؛ من علوم القرآن والسُّنَّة، وكذا أجزته برواية كل مصنفاتي جَرْياً على عادة العُلماء كـ (صفوة التفاسير، وروائع البيان، وشروح الكتب الستة ورياض الصالحين، والموسوعة الفقهية، وكتب السيرة لنبينا المصطفى وباقي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. وغيرها) بالشرط المعتبر عند أهل العِلْم؛ وشرطي اللاحق، وهو: أن يكون المجاز يَدِين اللهَ بما أدين به من حبٍّ واقتداءٍ بالآل والصحب، واتباع وإجلال للمذاهب الإسلامية الأربعة المتمثلة بالحنفية والمالكية والشافعية وما ثبت عن الإمام أحمد بن حنبل في مذهبه، كما يَدِين الله أيضاً

بما أَدِين به من أن ساداتنا الأشاعرة والماتريدية هم من أهل السنة والجماعة خلفاً عن سلف، وأن لا يكون طعَّاناً بأحدٍ من ساداتنا العلماء؛ لأن التضليل والتكفير - بغير حق - ليس من منهجي ولامن منهج أشياخي الذين أخذتُ العلم منهم ورويتُ عنهم.. وإلا فالإجازة لا تشمله، وإن أخذها فقد أخذها بغير حق.) اهـ.

وكان من أبرز المجازين منه (في مكة وتركيا وغيرها):

- الدكتور الشيخ صالح أحمد رضا (صهر الشيخ) وأولاده الكرام.
- الدكتور محمَّد بشير بن محمَّد محسن حداد (صهر الشيخ) وأولاده الكرام.
- الدكتور الشيخ أكرم عبد الوهاب الموصلي.
- الدكتور الشيخ يحيى الغوثاني.
- الدكتور الشيخ خالد الطبَّاع.
- الدكتور الشيخ محمَّد أبو بكر باذيب.
- الدكتور الشيخ محمَّد عيد محمَّد وفا منصور.
- الدكتور الشيخ عمر موفق النشوقاتي.
- الدكتور الشيخ بسام الأحمد الشيخ.
- الدكتور الشيخ محمَّد أكرم الندوي ومن كان بصحبته.
- الدكتور الشيخ سيف بن علي محمَّد العصري.
- الدكتور الشيخ ماجد الشيحاوي.
- الدكتور الشيخ طارق زياد الزيدي.
- الشيخ البحاثة أحمد عاشور المدني.
- الشيخ المقرئ سمير السقا اللاذقي.

- الشيخ عمر بن محمَّد سراج حبيب الله.
- الشيخ ظهور أحمد الحسيني الباكستاني.
- الشيخ قتيبة عبد الجليل العزي.
- الشيخ فاتح أحمد العايش.
- الشيخ علي بن ياسين المحيميد.
- الشيخ جاسم محمَّد عزيز الجاف الكركوكي.
- الشيخ حق النبي سكندري الأزهري (أبو البركات السندي).
- الشيخ إدريس السندي، وابنه الشيخ عبد الباقي.
- الشيخ عبد الأحد الفلاحي السورتي الهندي.
- الشيخ فيصل أحمد بن محمَّد ميران الندوي الهندي.
- الشيخ بلال عبده الخطيب و ولده الشيخ بدر الدِّين.
- الشيخ عبد الغني نكه مي الحلبي.
- الشيخ محمَّد موفق المرابع و ولده الشيخ محمَّد صالح.
- الشيخ هواش بن يونس مفلح الرفاعي.
- الشيخ أحمد بن عبد الله شيخ ديب الحلبي.
- الشيخ محمَّد عدنان كاتبي الحلبي.
- الشيخ عبد الرحمن بن بسنك زيكا الأسترالي.
- الشيخ تحسين عالم بن محبوب عالم الملبورني.
- الشيخ محمد عمران بن محمد إسحاق مغل الملبورني.
- الشيخ محمَّد بن عبد الرحمن الأفريدي.

- الشيخ حسن الحق بن شمس الحق الملبورني.

- الشيخ عبد الله محمَّد علي رزوق الشامي.

- الشيخ حسن عسلية الدمشقي.

- الشيخ يوسف التركي.

- الشيخ براءة أيوب التركي.

- الشيخ صهيب سلطان الحموي.

- الشيخ يوسف رزق الديرعطاني.

- الشيخ عبد العزيز الخراز الحمصي.

وجميع أعضاء مكتب الشيخ في تركيا، من أبرزهم:

- الشيخ باسل أحمد الويسي.

- الشيخ عبد الله العبيدي الموصلي.

- الشيخ عبد الهادي حسن عسلية.

- الأستاذة نسيبة السنوسي الجزائرية .

- الأستاذة روعة محمَّد الدمشقية.

- الأستاذة ميسون الجزائرية.

- الأستاذة أمل راشد التونسية.

- وكاتب هذه السطور محمَّد أيوب.

كما أجاز من حضر ختم صحيح البخاري في اِسطنبول بشروطه، وهم ما بين عالم وطالب علم وعامي (جاوزا الألفين)، وعلق إجازته بالقَبول، فقلبتها الجموع بقولهم قبلتُ. وكان ممن لقيه فيه وأجيز منه:

- الشيخ محمَّد أيوب السورتي.

- الدكتور الشيخ محمَّد مجير الخطيب.

- الدكتور الشيخ محمَّد حمزة الكتاني.

- الدكتور الشيخ محمَّد بسام حجازي.

- الدكتور الشيخ سعيد اللافي.

- الدكتور الشيخ أسامة الساطوري.

- الطبيب المقرئ أنمار ناصر الشرعبي.

- الشيخ علي الصياد المظاهري.

- الشيخ المسند محمَّد زياد التكلة.

- الشيخ المسند محمَّد سعيد منقارة.

- الشيخ المسند محمَّد عبد الله الشعار البيروتي.

- الشيخ المسند جمعة بن هاشم الأشرم.

- الشيخ السيد هاشم مراد رضا المكي.

- الشيخ إبراهيم أنار التركي.

- الشيخ مسعود رشيد أحمد الميواتي، و ولده الشيخ عبد الله.

- الشيخ علاء الدِّين دوغاني الحلبي.

- الشيخ محمود أديب عبد الرحمن البكار الحلبي.

- الشيخ خالد بلال عيتاني البيروتي.

- الشيخ عبد الرحمن عبد النافع الدمشقي.

- الشيخ مصطفى بكران.

- طالبي العِلم: محمَّد عطاء الله وأحمد براء ابني الشيخ محمَّد بسام حجازي.

- الشيخ الباحث بلال ألتين الأرزنجاني.. وغيرهم.

كما أقمتُ عليه بعض المجالس (هاتفياً)، وكان ممن سمعها وأجيز بها:

- الشيخ محمَّد أشرف بن أحمد ملا زادة الإفريقي، (ولقي الشيخ وسمع منه أيضاً).

- الشيخ محمَّد إيهاب العدل.

- الشيخ عدي مروان النداف.

- الشيخ أنس أحمد شهاب .

- الشيخ جهاد سعيد خليفة .

- الشيخ محمَّد رشيد عياش.

- الشيخ خطَّاب البخيت.

- الشيخ عبد القادر الفرواتي وأخوه الشيخ عبد الهادي.

- وزوجة جامع هذه الورقات (وقارئ المجلس)، وولده: محمَّد أبي الهدى، وبناته: وشفاء ودعاء وشيماء.. وغيرهم من المشايخ الكرام.

كما أجيزت منه مجموعة من المشايخ الأتراك، بعد زيارة له في منزله بولاية يلوا التركية سنة ١٤٣٦هـ، وهم في الأصل يسكنون في ولاية آيدن التركية، وكلهم مأذون بالتدريس (بين مُدَرِّس ومدير ومعاون مدير)، وكان عددهم نحو عشرين شخصاً، وهم يقرؤن كتابه الماتع صفوة التفاسير من نحو خمسة عشر سنة؛ يقرؤنه بالعربية ويترجمون ألفاظه إلى التركية؛ ليزادوا من اللغة العربية، ويأخذوا التفسير من أهله، وكان من أبرزهم الأساتذة الكرام:

Mustafa ÇALIŞKAN

Mustafa ÇAĞIRICI

Yusuf TEKER
Harun DURSUN
Mehmet ÇALIŞKAN
Akif GÜNDAY
Ahmet HÜNÜK
Mustafa ÖZDEMİR
Sabri ACAR
Fatih KILIÇ
Mukadder BULUT
Yunus MERSİN
Saffet SEVER
Rıdvan ÖZDEMİR
Taner KORAN
Hayrullah TOSUN.

وغير هؤلاء الكثير،أثناء زياراتهم لبيته أوزيارته إلى مدارسهم في الولايات التركية.

عائلته :

هذا وللشيخ عَقِب طيِّب من الذريَّة، وهم ثلاثة ذكور وسبع بنات، وكذا أصهاره الكرام - سلمهم الله - فهم ممن فاقوا الأقران في العلم والمكانة الرفيعة.

وقد كان الشيخ يهتمُّ بأبنائه إهتماماً بالغاً، فنشأهم تنشأة كريمة، حتى امتد توجيهه لأصهاره الأفاضل، فكان للجميع الأب والمربي بحق.

وكان من شأنه (مع الجميع): جمعهم وعقد الدروس لهم، في الفقه والتفسير والحديث ونحوها، فلا يقومون من مجلس من مجالسه إلا بعلم وإرشاد.

ومن لطيف ما يُذكر عن ذرية الشيخ: أن الله رزقه أربع بنات، كانت الأولى في مصر وثلاث في حلب، وكانت نفسه تتوق للولد الذي يحمل العلم ويبلغه، خاصة القرآن

الكريم، فلما جاء إلى مكة المكرَّمة ومكث فيها مدة.. قام في يوم من الأيـام وذهـب إلى الملتزم وتبتَّل إلى الرزاق الكريم قائلاً: يارب ارزقني ولداً واحداً يحفـظ القـرآن، فأجابـه المولى الكريم بجبر خاطره واستجابة دعوته، ورزقـه ثلاثـة مـن الذكـور، كلهـم حفظـوا القرآن، وتخرجوا بكلية أصول الدِّين، وهم الأساتذة الكرام: أيمن وأحمد وأنس.

بارك الله لنا في همة شيخنا وذريته وأصهاره وأحبابه وطلابه ومن تناسل منهم إلى يوم الدِّين، ونفَّعنا بهم والمسلمين، آمين[1].

ولنا في هذه الترجمة زيادات تُتبع في قادم الأيام – بحـول الله تعـالى وقوتـه – فيهـا الكثير من أخبار الشيخ وسيرته، والحمد لله ربِّ العـالمين، وصـلى الله على سـيدنا محمَّـد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

❁ ❁ ❁



---

[1] - **مصادر الترجمة:**

- سماعي من شيخنا المترجَم في عدة لقاءات واتصالات.
- لقاء مع الشيخ في برنامج عفو التجربة في قناة الدليل(الفيديو على يوتيوب).
- لقاء مع الشيخ حاوره فيه الدكتور سلمان العودة (فيديو على يوتيوب).
- فوائد من ولديه الأستاذين الفاضلين أحمد وأنس.
- وثائق من مكتبة الدكتور الشيخ يحيى الغوثاني.
- سماعاً من الدكتور صالح أحمد رضا (صهر الشيخ) عبر الاتصال.


الحمد لله رب العالمين